جامعة 08 ماي 1945 قالمة
قسم التاريخ والآثار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945
قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار
التخصص : التاريخ العام

التاريخ السياسي للدولة الفاطمية في بلاد المغرب (297 - 362) هـ / (910 - 973) م

(مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام)

إعداد الطالب:
فوزي ياحي

إشراف الدكتور:
بكير بوعروة

لجنة المناقشة :

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
خالدي مسعود	دكتور	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945م
بوعروة بكير	دكتور	مشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945م
بكاي عبد المالك	أستاذ	عضوا مناقشا	جامعة08 ماي 1945م

السنة الجامعية :
1434-1433 هـ / 2012/2011م

الفهرس العام

الموضوع	عدد الصفحات
المقدمة	أ-ت
الفصل التمهيدي: الحالة السياسية في بلاد المغرب قبل قيام الدولة الفاطمية	6-1
الفصل الأول: بداية الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب	25-7
المبحث الأول: التعريف بالشيعة الإسماعيلية	11-7
المبحث الثاني: أصل الفاطميين	18-12
المبحث الثالث: التنظيم الدعوي للإسماعلية	25-19
الفصل الثاني: قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب	43-26
المبحث الأول: رحلة عبيد الله المهدي إلى بلاد المغرب.	29-26
المبحث الثاني: الإجراءات التنظيمية و السياسية و المذهبية	33-30
المبحث الثالث: الصعوبات التي واجهت عبيد الله المهدي.	39-34
المبحث الرابع: بناء المهدية عاصمة للدولة الفاطمية.	43-40
الفصل الثالث: خلفاء عبيد الله المهدي في بلاد المغرب.	74-44
المبحث الأول: خلافة القائم بأمر الله.	53-44
المبحث الثاني: خلافة المنصور بالله إسماعيل.	62-54
المبحث الثالث: خلافة المعز لدين الله	74-63
الخاتمة	75
الملاحق	79-76
قائمة المراجع و المصادر	88-80

المقدمة

المقدمة:

التعريف بالموضوع وأهميته:

تعتبر الدولة الفاطمية نموذجا واضحا للدولة الثيوقراطية في التاريخ الإسلامي التي قامت فوق أرض بلاد المغرب الإسلامي، و على الرغم من غزارة الأبحاث التي تناولت تاريخ الفاطميين، فإن عددا قليل منها يمكن الوثوق به و الاعتماد عليه للوصول إلى الحقيقة التاريخية، لذا أصبحت مهمة الباحث في التاريخ الفاطمي صعبة جدا. بسبب تضارب المصادر المختلفة وتناقضها فيما بينها.

و لعل رغبتي في الاطلاع أكثر عن تاريخ الفاطميين و معرفة المزيد أكثر عن أعمالهم ومنجزاتهم هي التي دفعتني إلى دراسة موضوع الدولة الفاطمية. ضف إلى ذلك أن معظم الدراسات التاريخية الخاصة بفترة الفاطميين خاصة في بلاد المغرب قد أولت اهتماما كبيرا وعناية بالغة بالجانب الديني (العقائدي و الفلسفي) للمذهب الإسماعيلي و ما وجه لهذا الأخير من انتقادات وتشويهات، جعل الكثير من الباحثين و الدارسين ينقمون و يطعنون في الدولة الفاطمية و في سيرة خلفائها. لذلك رأينا أنه من الأجدر و الصواب الابتعاد قليلا عن هذه الملابسات و المشادات الخالية تماما من الموضوعية، و التطرق إلى دراسة الجانب السياسي للدولة الفاطمية باعتباره يعطي لنا الصورة الأقرب للحقيقية عن الدولة الفاطمية.

الإشكالية :

و لمعالجة هذا الموضوع **"التاريخ السياسي للدولة الفاطمية في بلاد المغرب"** وجدنا أنفسنا أمام الإشكالية التالية.

ما هي السياسة التي انتهجها الفاطميون في بلاد المغرب؟.

و للإجابة عن هذه الإشكالية نطرح التساؤلات التالية.!

أ- ما هو الواقع السياسي في بلاد المغرب قبيل مجيء الفاطميين؟.

ب- ما هو الأسلوب الذي انتهجه الفاطميون لتكوين دولتهم في بلاد المغرب؟.

ث- كيف كان رد فعل المغاربة اتجاه السياسة الفاطمية؟.

ج- كيف كان تقييم التجربة الفاطمية في بلاد المغرب؟.

خطة البحث:

قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول مع تمهيد جاء في هذا الأخير، لمحة عن أوضاع المغرب سياسيا قبيل قيام الدولة الفاطمية. ثم تطرقت في الفصل الأول إلى بداية الدعوة الإسماعيلية و الذي عرجت فيه بالشيعة الإسماعيلية، ثم توضيح بعض الآراء المتعلقة حول نسب واصل الفاطميين، ثم متنقلا بعد ذلك إلى التنظيم الدعوي للإسماعيلية و كيفية قدومهم إلى بلاد المغرب أما في الفصل الثاني فقد تطرقت فيه إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب مشيرا إلى رحلة عبيد الله المهدي إلى بلاد المغرب ثم متنقلا لأهم الإجراءات التي قام بها من أجل تثبيت أركان دولته و الصعوبات التي واجهته في ذلك، و أخيرا إلى أهم و أعظم انجاز حدث في عهده و هو بناءه لمدينة المهدية كعاصمة للدولة الفاطمية.

و أخيرا الفصل الثالث الذي كان بعنوان خلفاء عبيد الله المهدي في بلاد المغرب، واندرج تحته التعريف بالخلفاء الفاطميين (القائم بأمر الله، المنصور أبو الطاهر، و المعز لدين الله)، و أهم أعمالهم و منجزاتهم و الصعوبات التي واجهتهم في ذلك مع الإشارة إلى علاقات الدولة الفاطمية بالعالم المحيط بها في عهدهم.

لنخرج في الأخير بخاتمة استنتاجيه جمعت فيها مجموعة من النتائج كانت بمثابة حوصلة لما تمت دراسته بالإضافة إلى مجموعة من الملاحق، ودون شك لم يكن هذا البحث سوى نتاج شتات معلومات جمعتها من مصادر مختلفة

و في هذا البحث اعتمدت على المنهج الوصفي في وصف بعض الأحداث و المعارك والشخصيات الفاطمية، كتلك المتعلقة برحلة عبيد الله إلى بلاد المغرب، و التعريف ببعض الخلفاء الفاطميين إضافة إلى المنهج التحليلي في تحليل و شرح و تعقب بعض الأحداث التاريخية كنشأة الشيعة الإسماعيلية، و مراحل تطورها و إنتقالها إلى بلاد المغرب ودراسة لعلاقات الدولة الفاطمية بالعالم المحيط بها. دون أن ننسى المنهج المقارن الذي استخدمته في تقديم الآراء المتعلقة بنسب

الفاطميين، حيث وجد تضارب كبير في هذه الآراء فهناك من يرجع نسبهم إلى أصل علوي و هناك من يرجع نسبهم إلى أصل فارسي يهودي.

المصادر والمراجع المعتمدة:

نذكر على سبيل المثال

ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب.

عماد الدين إدريس: عيون الأخبار و الآثار السبع.

تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

إضافة إلى بعض المراجع أهمها:

- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي.
- محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية.
- محمد سهيل طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية و مصر و بلاد الشام.
- فرحات الدشراوي : الخلافة الفاطمية بالمغرب .

صعوبات البحث:

أما عن الصعوبات التي واجهتني في إعداد الموضوع فهي متعددة أذكر منها:

نقص المصادر الشيعية التي احتجت إليها لدراسة المقارنات بين الروايات المتخصصة في دراسة تاريخ الفاطميين والتي كانت في معظمها كتب سنية معادية للشيعة الفاطمية .

كذلك عدم توفر المصادر العامة التي تتناول هذا الموضوع بمكتبتنا مما جعلني انتقل إلى أماكن أخرى للحصول على مبتغى الدراسة.

و في الأخير كان لزاما علينا أن أشكر كل من ساعدني في انجاز هذا البحث عسى أن يجزى به الله عني ألف خير،و نسأل الله أن يسدد أعمالنا و يجعلها خالصة لوجهه تعالى إنه ولي ذلك و القادر عليه.

الفصل التمهيدي :

الحالة السياسية في بلاد المغرب قبل قيام الدولة الفاطمية.

الفصل التمهيدي: الحالة السياسية في بلاد المغرب قبل قيام الدولة الفاطمية

كانت خريطة بلاد المغرب السياسية تشتمل أساسا على أربع دول هي من المشرق إلى المغرب. دولة الأغالبة في إفريقية أي البلاد التونسية ودولة الرستميين في المغرب الأوسط وإقليم تاهرت (من البلاد الجزائرية)، وإمارة المدراريين في سجلماسة و وادي درعة في صحراء المغرب الجنوبية و دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، و إلى جانب هذه الدول الأربعة لا يمكن أن نغفل كلا من مصر الطولونية (في المشرق) والدولة الأموية في الأندلس.

والذي يمكن ملاحظته هو أنه و رغم استقلال كل من دول المغرب الأربعة فان الأوضاع السياسية في كل منها كانت رهنا بأوضاع البلاد الأخرى، إذ كانت لأحداث كل إقليم آثارها المباشرة في الإقليم المجاور كرد فعل طبيعي لتلك الأحداث، هذا كما كان لتدخل الخلافة العباسية بصفتها صاحبة السلطة الشرعية في كل ولايات الدولة المطيعة منها و العاصية لأمرها.

هكذا كانت دول المغرب الأربعة تعاني في أواخر القرن الثالث للهجرة/ التاسع ميلادي بشكل عام من نفس الآفات التي عانت منها دولة الخلافة العباسية والتي تمثلت في الصراعات المذهبية و العصبية و الانقسام بين أفراد الأسرة الحاكمة، حدث ذلك رغم أوجه التباين فيما بينها: من حيث شرعية الحكم ،و من حيث المذاهب الدينية، و أخيرا من حيث التركيب الاجتماعي[1].

و إذا كان التفتت السياسي قد عمل على الازدهار الحضاري المحلي فإن هذا الأخير قد أدى إلى نوع من الانقسام بين الأسر الحاكمة و بين جماهير الرعية الأمر الذي أدى بحكم الطبيعة إلى صراعات إقليمية وعصبية أنهكت كلا من الممالك الثلاثة.

فإن الموقف في بلاد المغرب في أواخر ذلك القرن الثالث الهجري/ التاسع ميلادي، كان يتطلب عملية تجديد في هيكل البناء السياسي و الحضاري...

[1]– سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج2، منشأة المعارف الإسكندرية، ص ص 483، 484–493.

و هي العملية التي قام بها الفاطميون بمعاونة قبائل كتامة، أهل الجبال الأشداء التي عجز الأغالبة عن مواجهتها فكان من الطبيعي أن يعجز بالتالي كل من الرستميين و الأدارسة عن الوقوف أمامها، و بذلك وقع على عاتق الفاطميين ابتداء من أوائل القرن الرابع/10م العمل على تحقيق وحدة المغرب تحت راياتهم من جديد[1].

1-الدولة الأغلبية: (184-296هـ /800 -909م)

هي ولاية إفريقية آل أمرها لإبراهيم بن الأغلب الذي تمكن من تأسيس دولة شبه مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق، فكانت ولايته في جمادى الثانية 184هـ، شرع في بناء مدينة القصر القديم وانخذها دارا لإمارة بني الأغلب[2].

و بعد وفاته بويع ابنه عبد الله الذي أساء السيرة مع أهل بيته كما أنه أرهق الناس بالضرائب، و عامل السكان بمعاملة تنطوي على كثير من الجور، إلا أن فترته كانت قصيرة الحكم، إذ توفي في 6 ذي الحجة عام 201هـ، ثم بويع بعده أخوه زيادة الله وقد كان هذا الأخير من أطول حكام الأغالبة عهدا، إذ امتدد حكمه 22عاما و قد مال كأخيه إلى الظلم و الجور، إلا أن عهده شهد نهضة عمرانية عظمى ولعل أعظم شيء قام به، خلال حياته، فتحه لجزيرة صقلية في عام 212هـ[3].

و لم يخلو عهد زيادة الله من الثورات، فبعد ست سنوات من الهدوء ثار عليه زياد بن سهل المعروف بابن الصقلية، إلا أن ثورته لم تشكل خطرا جديا على الدولة حيث لم يجد زيادة الله أدنى صعوبة في القضاء عليه[4]، إلا أن أخطر ثورة هددت كيان الدولة الأغلبية هي ثورة والي طرابلس منصور بن نصر الجشمي

---

[1] – سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص528.

[2] –ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، تحقيق و مراجعة كولان و ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة– بيروت،1980، ص ص92– 96.

[3] – حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة الأسرة– القاهرة، 2004، ص121.

[4] – ابن عذارى ، المصدر السابق، ص196.

المعروف بالطنبذي[1]، الذي ثار في عام 209 ه غضبا لمقتل عمرو بن معاوية القيسي والي القصرين، حيث أضعفت كيان الدولة و سلامتها[2]، ولم تنتهي إلا بصلح عام 211ه، ثم توفي زيادة الله بن إبراهيم عام 223هـ، ثم خلفه على الحكم أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم، و الذي كان أحسن سيرة من إخوته، ثم جاء بعده إلى الحكم محمد بن الأغلب ثم ابنه أحمد بن محمد، فكان هذا الأخير حسن السيرة و قد اهتم بالعمران، و لما توفي خلفه أخوه زيادة الله الثاني و توفي هو الآخر بعد سنة واحدة فقط من توليه إفريقية فآل الأمر لأبن أخيه محمد بن أحمد، و اهتم هو الآخر بالبناء وآل الأمر بعد وفاته لأخيه[3] إبراهيم (261هـ-289ه) وهو من أعظم أمراء بني الأغلب حيث أسس مدينة رقادة سنة 263ه و قيل أنه أساء معاملة الرعية، و لكن عندما ظهر أبو عبد الله الشيعي في كتامة و نجاحه في اجتذاب البربر إليه.

استقام إبراهيم ورجع إلى سابق عهده فرد المظالم و بموت إبراهيم بدأ الضعف يدب في أوصال دولة الأغالبة فخلفه ابنه عبد الله و لكنه قتل و آل الأمر إلى ابنه زيادة الله الثالث[4] .

و بعد أن تولى زيادة الله الحكم قبض على أعمامه، و أرسلهم إلى المنفى رفقة بعض من قواده ثم أمر بقتلهم جميعا و قتل أيضا أخاه أبا عبد الله الأحول[5] .

و قد اعترضت إمارة زيادة الله الثالث أخطار كثيرة تمثلت في خطر الداعي الشيعي أبو عبد الله الذي استفحل أمره حيث استولى على سطيف سنة 292ه، فسير إليه زيادة الله جيشا من 40 ألف مقاتل بقيادة إبراهيم بن حبشي، فالتقى الجيشان وانهزم الأغالبة ثم زحف أبو عبد الله على أملاك الأغالبة.

---

[1]- الطنبذي، نسبة الى بلدة طنبذة في افريقية و تقع على بعد أربعة فراسخ جنوبي مدينة تونس، و تحمي الطريق الرئيسي المؤدي من افريقية إلى إقليم الزاب، أنظر:شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج4، دار صادر- بيروت، 1979، ص ص 42، 43.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص ص98،97.

[3]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج2، ص ص44 ،45.

[4] -السيد عبد العزيز سالم، المغرب العربي في العصر الاسلامي، ج2، دار النهضة العربية- بيروت، 1981، ص397،396- 403.

[5] - سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص، 161- 163

1- دولة الرستميين في تيهرت: (144-296هـ/ 761-909م).

لم تكن دولة الأغالبة تحكم وحدها في بلاد المغرب خلال الفترة التي نغوص فيها و إنما كانت كذلك الدولة التي أسسها بنو رستم في تيهرت على أسس ومبادئ الخوارج الإباضيين.

فقد نجح الخوارج في الدعاية لمذهبهم و نشره بين القبائل و خاصة في منطقة المغرب الأوسط حيث قبائل لماية ولواته وهوارة ونفوسه ومزاته[1]، التي تعتنق المذهب الخارجي الإباضي عن يقين و لما وصل ابن رستم إلى هؤلاء الأتباع رحبوا به، وطالبوا بإنشاء دولة تقوم على أساس الدين و هدى القرآن الكريم و السنة النبوية، و يتساوى في ظلها كل المؤمنين، و لقد اختير ابن رستم لإمامة هذه الدولة فاستجاب بعد تمنع و قامت دولة جديدة في مدينة تيهرت و قد قامت سنة 160هـ[2].

و كان من أبرز الأئمة الرستميين عبد الوهاب ثم ابنه أفلح الذي حقق خلال فترة حكمه الأمن في البلاد، و وصلت حضارة الرستميين في عهده إلى ذروتها من القوة، وتوفي في عام (258هـ/872م)، فتراجعت قوة الدولة حيث توالى على الإمامة ولداه أبو بكر و أبواليقضان محمد ثم أبو حاتم يوسف بن محمد، وآخرهم اليقضان بن أبي اليقضان بن محمد الذي سقطت الدولة الرستمية في عهده في عام (296هـ/909م) على يد أبي عبد الله الداعي الشيعي[3].

1- دولة بني واسول بسجلماسة: (140-296هـ/757-909م)

إلى جانب دولة الأغالبة التي حكمت في المغرب الأدنى ودولة الرستميين التي سيطرت على (المغرب الأوسط و جزء من المغرب الأدنى) ، كانت هناك دولة "بني واسول" التي قامت في جنوب المغرب الأقصى.

---

[1] – محمد علي دبوز، تاريخ المغرب العربي الكبير، ج3، دار إحياء الكتب العلمية، ط1، 1963، ص ص251–295.

[2] – سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص 388– 394

[3] – ابن عذارى، المصدر السابق،ج1، ص 197.

لأول :

لإسماعيلية.

ب بالشيعة الإسماعيلية.

اطميين

الدعوي للإسماعيلية

المبحث الأول: نشأة الشيعة الإسماعيلية.

لما ظفر العباسيون بالخلافة لم يرحب بهم العلويون الشيعة[1] من بني الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب، و استمر النزاع بين الفريقين طوال العصر العباسي الأول حتى أصبحنا لا نجد تاريخ أي خليفة عباسي خاليا من الحروب ضد العلويين، ثم إن أحفاد الحسن بن علي المعروفين بالحسنيين، لم يكونوا في أوائل العصر العباسي الأول متفقين مع أحفاد الحسين بن علي الذين عرفوا بالحسينيين، وبداية هذا الصراع يعود منذ أن تخلى جعفر الصادق[2]بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عن محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية، والذي أخذ يعمل في الخفاء ليمهد السبيل لأبنائه من بعده للوصول إلى الخلافة، واستطاع جعفر الصادق بحسن سياسته أن يقنع بقايا العلويين من أحفاد الحسن بن علي الذين التفوا حوله، بعد أن بدد العباسيون شملهم على أيام الخليفة المنصور العباسي و اعتبروه الوارث الحقيقي لعلي و فاطمة[3].

انحصرت زعامة العلويين منذ أواخر العصر الأموي، و أوائل العصر العباسي في جعفر الصادق، وهو الإمام السادس عند الطائفة الإمامية، و كانت هذه الطائفة تذهب إلى أن الإمامة تكون في سلالة علي عن طريق ابنه الحسين، و أنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد أن انتقلت من الحسن إلى الحسين.

1- الشيعة:الاسم الشامل لمجموعة من فرق إسلامية، ترجع نشأتها إلى القول بأن علي بن أبي طالب هو الخليفة الشرعي بعد وفاة محمد النبي (ص)، وأضحى هذا اللفظ اسما خاصا بهم وأصله من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة، وعرف الشيعة أيضا بالطالبيين أو العلويين، انظر: محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص19.

2- الإمام جعفر الصادق: (ولد يوم17ربيع الاول83ه) في المدينة المنورة، وتوفي بها عام 148ه، وهو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسن وأمه فاطمة بنت القاسم ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب ويعتبر الإمام السادس لدى الشيعة الإمامية واستطاع أن يؤسس في عصره مدرسة فقهية، وتتلمذ على يده العديد من العلماء مثل جابر بن حيان أنظر: عمار عمورة ، نبيل داودة، الجزائر بوابة التاريخ ،ج1 ، دار المعرفة- الجزائر،2009 ، ص93

3- محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية- القاهرة، دار الفكر العربي، 1995، ص19

و لا تكون إلا في الأعقاب، و قد خرج بعض الإمامية عن هذه التعاليم بعد موت جعفر الصادق سنة 148هـ، وانقسموا إلى طائفتين[1]:

- **الإمامية الموسوية:** وهم الذين أطلق عليهم فيما بعد الإمامية الإثناعشرية ,وقد قالوا بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق و هو عندهم الإمام السابع.

- **الإمامية الإسماعيلية:** و قد قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وكان أكبر أولاد أبيه جعفر[2].

و يروى أن جعفر الصادق قد خلع ابنه إسماعيل من الإمامة و أحل ابنه موسى الكاظم محله لمسائل نسبت إليه و قد اعترض الشيعة الذين كانوا يميلون إلى إمامة إسماعيل على خلعه، كما لم يعترفوا بأحقية جعفر في نقل الإمامة إلى موسى الكاظم[3].

و لما توفي إسماعيل في حياة أبيه سنة 145هـ، رأى أتباعه أن الإمامة يجب أن تنتقل بعد وفاة جعفر الصادق إلى حفيده محمد بن إسماعيل طبقا لتعاليمهم التي تنص على أن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخ، بل يجب أن تظل في الأعقاب.

وبذلك حوّلوا إليه الإمامة و أصبح الإمام السابع عندهم، ومن ثم أطلق على هذه الطائفة اسم السبعية لتميزهم عن طائفة الإثناعشرية. أما الإمامية الموسوية، فقالوا إن الإمامة بعد موسى الكاظم تنتقل إلى ابنه علي الرضا، ثم إلى أعقابه من بعده حتى الإمام الثاني عشر و هو محمد المنتظر بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا. و عرفت هذه الطائفة باسم الإمامية الإثناعشرية لانتظارهم إمامهم الثاني عشر.

---

[1] – الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة، تحقيق، عبد المنعم الحفني دار الرشيد، ط1، 1922، ص ص 58،57-82،81.

[2] – هذه الدعوة هي التي نبتت منها الخلافة الفاطمية وهي تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وهو ابن أبيه الأكبر ومع أن وفاته قد حصلت في حياة أبيه فقد اعتقد أصحابه بإمامته وحول أتباعه الإمامة إلى ابنه محمد المستور، أنظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي،الوافي بالوفيات،ج9، تحقيق، أحمد الارناؤوط، تركي مصطفى، دار أحياء التراث العربي بيروت،ط1، 2000م،ص.62.

[3] – محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص20.

و يقال أن محمدا دخل سردابا في مدينة سامرّاء سنة 260هـ و أمه تنظر إليه، و لكنه لم يعد و لم يقف له أشياعه على أثره منذ ذلك الحين[1].

و لا يزال أنصاره ينتظرون عودته، ويعتقدون أنه سيظهر و يملأ الأرض عدلا كما مُلئت جورًا، و من ثم سمي الإمام المنتظر، أو المهدي المنتظر[2].

انتقلت إمامة الإسماعيلية، إلى محمد بن إسماعيل بعد وفاة جده جعفر الصادق، وأمعن أنصاره في التخفي و نشر الدعوة له سرا أيام الخلفاء العباسيين المهدي و الهادي و الرشيد. و لما ذاعت دعوته في خلافة الرشيد أيقن أن بقاؤه بالمدينة المنورة سيسهل على العباسيين مهمة تتبع حركاته و التخلص منه، فرحل شرقا، و أخذ يتنقل بين بلاد الدولة الإسلامية، فذهب إلى الرّي[3] وانتقل إلى جبل دماوند القريب منها واستقر هناك بقرية تدعى سَملا، أطلق عليها فيما بعد إسم محمد أباد نسبة إليه[4].

كان محمد بن إسماعيل يعتمد في نشر دعوته على رجل اسمه ميمون القداح،[5] و يقول عنه الإسماعيلية أنه من نسل سلمان الفارسي، و لما توفي محمد خلفه في الإمامة عبد الله الرضى الذي أمعن في التخفي و اتخذ عبد الله ابن ميمون القداح داعية له[6].

يرجع السبب في اختفاء الأئمة الذين تولوا الإمامة بعد محمد بن إسماعيل إلى ما ذهب إليه الإسماعيلية من أن الإمام يجوز له أن يستتر أو يختفي إذا

---

[1] – الحسن بن موسى النوبختي، المصدر السابق، ص82.

[2] – المصدر نفسه، ص82.

[3] – الري: هي مدينة عظيمة في بلاد الجبال، اسمها القديم راغة، ومنه اشتق الاسم العربي، وفتحها نعيم بن مقرن في خلافة عمر؛ وفيها ولد الخليفة هارون الرشيد، و هي الآن أطلال على مسافة خمس كيلومترات من طهران تعرف باسم مشهد عبد العظيم، أنظر: أمين واصف بيك، معجم الممالك الإسلامية، تحقيق، أحمد ذكي باشا، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد (مصر)، 1916، ص60.

[4]– محمد سهيل طقوش، المرجع السابق،51.

[5] – ميمون القداح من موالي الشق المخزومي (قريش)، وهو أصيل مكة، و فقيه مشهور، روى عن الإمام محمد الباقر و جعفر الصادق في القرنين 6و7م أما ابنه عبد الله راوي الإمام جعفر الصادق، فقد توفي في سجن الكوفة سنة 201هـ في عهد المأمون، أنظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط4، 2000، ص183.

[6]– محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص21

لم تكن له قوة يظهر بها على أعدائه، و من المرجح أنهم نهجوا هذه الطريقة خشية أن يلحق بهم ما لحق بأتباع الطائفة الإثناعشرية من الاضطهاد و القتل[1].

استقر الإمام عبد الله الرضا بسلمية[2]من أعمال حمص، وكان العباسيون قد تتبعوه في عهد المأمون مما اضطره إلى الهرب مع ابنه أحمد و لي عهده في الإمامة، فقصدا مازندران و الأهواز[3] ثم رحلا إلى قرية سلمية التي لم تلبث أن أصبحت دار هجرة للأئمة الإسماعيلية و لما توفي عبد الله تولى ابنه أحمد إمامة الإسماعيلية، فأتخذ عبد الله بن ميمون القداح داعية له كما اتخذه أبوه من قبل.

أصبحت سلمية المركز الرئيسي للدعوة الإسماعيلية منذ أن اتخذها الأئمة الإسماعيلية دار هجرة في عهد المأمون العباسي، فكان يخرج منها الدعاة لنشر دعوتهم في البلاد الإسلامية، و ظلت على هذه الحال أيام الإمام الحسين بن أحمد بن عبد الله الذي استطاع أن يقيم في سلمية آمنا مطمئنا دون أن تناله أيدي العباسيين، و الواقع أن كرم الإمام الحسين و بذله الأموال الكثيرة و تفانيه في إظهار حبه للهاشميين، و تفاني أنصاره في طاعته، كل ذلك ساعده على ذيوع الدعوة في سلمية.واتسمت أيام الإمام الحسين بن أحمد بانتشار الدعوة الإسماعيلية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، ففي بلاد اليمن أخذ كل من علي بن فضل اليمني، وأبي القاسم رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي.[4]

---

[1] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام ، المرجع السابق، ص51.

[2] – سلمية: هي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين و كانت تعد من أعمال حمص، أنظر: ياقوت الحمـــوي، المصدر السابق، ج3، ص240

[3] – الأهواز: اسم لكورة من البصرة و فارس، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص ص 284_ 286.

[4] اختلف المؤرخون في تفاصيل إسم ابن حوشب فابن الأثير (الكامل في التاريخ،ج8، تحقيق عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي بيروت ط1، ص30) و ابن خلدون (في العبر، ج3، ص361) يذكران أن اسمه هو رستم بن الحسين بن حوشب بـــن داذان النجار، بينما يرى المقريزي أن الجد الأكبر هو زادان و يذكر النعمان في افتتاح الدعوة ص32 أن اسمه هو أبو القاسم الحسن بـــن حوشب بن زادان الكوفي، و المتفق عليه بين المؤرخين انه من أهالي الكوفة و قد درس القرآن الكريم و الحديث و الفقه، و كان في أول أمره يعتنق تعاليم الإثناعشرية أصحاب محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق، و كان يعتقد أنه المهدي، ثم أصبح من أبرز دعاة الإسماعيلية فصار يدعو إلى الإمام محمد الحبيب، و قد استدعاه أحمد بن عبد الله القداح إليـــه، وألقى إليه مذهبه، فقبله، و سيره إلى اليمن، و أمره بلزوم العبادة و الزهد، و ابن حوشب هو أستاذ أبي عبـــد الله الـــشيعي، أنظـــر: علي حسني الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، 1972، ص ص 18،19

منذ أن وصلا إليها سنة 268هـ في نشر الدعوة الإسماعيلية، و نجحا في ذلك نجاحا كبيرا، ثم بنا ابن حوشب حصنا بجبل لاعة[1] (جنوبي صنعاء) و أعد جيشا زحف به على صنعاء و أخرج منها بني يعفر[2]وتمكن بمعاونة دعاته من التغلب على كثير من أرجاء اليمن، ثم بعث ابن حوشب الدعاة إلى اليمامة و عمان والبحرين والسند و الهند و المغرب[3].وكان مبعوثاه إلى المغرب أبا سفيان والحلواني، و قد نصح لهما ابن حوشب بأن يبتعد كل منهما عن صاحبه في نشر الدعوة الإسماعيلية و يمهدا بعملهما لظهور المهدي و دولته.وكان الإمام الحسين بن أحمد يحرص على نشر دعوته في بلاد المغرب، فأرسل أبا عبد الله الشيعي[4] إلى ابن حوشب باليمن سنة 278هـ، و أمره بالدخول في طاعته و الإقتداء بسيرته على أن يرحل بعد ذلك إلى المغرب لينشر الدعوة الإسماعيلية، فقدم أبو عبد الله إلى ابن حوشب و صار من كبار أصحابه و أقام باليمن عاما واحدا[5]و لما وصل ابن حوشب نبأ وفاة أبي سفيان والحلواني بالمغرب، عهد إلى أبي عبد الله الشيعي القيام بالدعوة إلى المذهب الإسماعيلي في تلك البلاد

و قال له: إن أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني و أبو سفيان و قد ماتا و ليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك [6] .

---

[1] –لاعة: مدينة في جبل صبر من نواحي اليمن إلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص169

[2] – بنو يعفر و سميوا كذلك بن حوال سكنوا صنعاء و جند، و ادعوا انتسابهم إلى التتابعة، أنظر: إدوارد فون زامباور، معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دار الرائد العربي، بيروت، 1980، ص 179

[3] – عبد الرحمان ابن محمد ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المسمى بكتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر، ج4، مؤسسة جمال للطباعة و النشر، بيروت، 1979، ص31.

[4] – هو الحسين بن أحمد بن محمد ولد بصنعاء اليمن، و لقب بالمحتسب لأنه تولى الحسبة بالبصرة، أو بغيرها من مدن العراق، وعرف بالذكاء و الدهاء وإلمام اختارته الإسماعيلية لنشر دعوتهم بالمغرب، أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4، ص127.

[5] – حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية–القاهرة، ص74.

6– تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية– القاهرة، 1996، ص ص 74،75 .

المبحث الثاني: أصل الفاطميين.

إن لقب الفاطميين[1] الذي عرف به خلفاء عبيد الله المهدي، يدل للوهلة الأولى على أنهم من أولاد علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله و عليه وسلم فهم علويون، على أن قضية نسب الأسرة الفاطمية، كان ولا يزال، موضوعا و لم يتفق المؤرخون، لا في الماضي و لا في الحاضر، على رأي واحد فيه، و ذلك بفعل واقعتين:

- **الأولى:** امتناع الفاطميين، مدة من الزمن عن إعلان أنسابهم، بالإضافة إلى تعمدهم إخفاء أسماء أئمتهم من محمد بن إسماعيل حتى عبيد الله المهدي في المدة التي اتخذوا فيها مبدأ ستر الإمام[2].

- **الثاني:** التباين السياسي و المذهبي الذي ساد بين المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم.

و ذهب كل مصدر مذهبا خاصا في تحديد اسم و نسب عبيد الله المهدي قبل أن يكون مهديا وبعد أن صار كذلك، فبعض المصادر تنفي عنه النسب العلوي، وتعزوه إلى الفرس أو المجوس وتصفه أحيانا بأنه ابن يهودي، و ترجع نسبه إلى ميمون القداح الفارسي الأصل[3].

و هي و إن اختلفت في تحديد اسمه قبل استلامه رئاسة الدعوة الفاطمية، إلا أنها تتفق على أن اسمه بعد أن أصبح رئيسا للفاطميين هو عبيد الله، و على هذا الأساس دعت هذه المصادر الدولة الفاطمية باسم الدولة العبيدية، وفي المقابل تؤكد مصادر أخرى معظمها شيعية صحة عبيد الله المهدي، وترجعه إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

---

[1]- نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت النبي (ص)، أنظر: ذلك في مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 36-56 .

[2]- محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية و مصر و بلاد الشام ، المرجع السابق، ص53.

[3]- إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الفاطمي السياسي، الشركة العالمية للكتاب، لبنان ط1، 1997، ص16.

المطلب الأول: رأي المنكرين لنسب الفاطميين إلى علي و فاطمة:

وفقا لما ذكره إيفانوف في بحثه عن تراث الإسماعيلية المتعلق بظهور الفاطميين فإن اسم الفاطميين هو الذي أطلق على الإسماعيلية في بداية الأمر[1].

و يمكن أن نلمس أصول الحركة الفاطمية التي أوصلت الفاطميين إلى السلطة في إفريقية بزعامة عبيد الله المهدي، في أصول العقائد الشيعية الإسماعيلية التي تمثل في الوقت نفسه أبعادا سياسية و فلسفية و دينية و اجتماعية و التي يتوقع معتنقوها ظهور المهدي المنتظر من سلالة النبي محمد صلى الله عليه و سلم من خلال علي و فاطمة مرورا بفرع إسماعيل بن جعفر الصادق.

و الواضح أن إسماعيل بن جعفر الصادق الذي توفي في حياة أبيه، كان أوسع نشاطا من إخوته وأعظمهم تأثيرا في بناء العمل السياسي للشيعة الإسماعيليين، واتبع مبدأ التقية فعمل في خفاء تام و أحسن اختيار دعاته[2] وخاصة محمد بن أبي زينب مقلاص الأجدع الأسدي المعروف بأبي الخطاب[3]. الذي ادعى أن جعفر الصادق جعله قيما و وصيا على ابنه و وضع إسماعيل بمساعدته أسس المذهب الإسماعيلي، وهو أول من تصور الإمامة الشيعية على أنها سيادة العالم الإسلامي، أي أنه حوّل الإمامة إلى معنى سياسي شبيه بالخلافة و وضع الخطط السرية للوصول إلى الحكم[4]

وضبط محمد بن إسماعيل المذهب و نظم الدعوة في عهد الخلفاء العباسيين، المهدي (158-169هـ/775-785م) و الهادي(169-170هـ/785-786م)، و بداية عهد هارون الرشيد(170-193هـ/786-810م) بمساعدة حجته ميمون القداح الديصاني الذي أسلم أو أظهر الإسلام مدفوعا بعاملين، سياسي يتمثل في إعادة النفوذ إلى الفرس عن طريق الشيعة، و ديني يهدف إلى هدم الدين الإسلامي عن طريق

---

[1] -IVANOV :The Rise Of the FAtimids PP-76

[2] – دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998، ص 7735.

[3] – أبو الخطاب من موالي بني الأسد كان مقربا من محمد الباقر و جعفر الصادق، و ظل أحد أتباعهما المخلصين حتى تبرأ منه جعفر الصادق بفعل آرائه المتطرفة و الغالية، انظر: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، ص 255.

[4] – سهيل زكار، الجامع في أخبار القرامطة، ج1، دار حسان للطباعة و النشر- دمشق، 1987، ص287

الفلسفة اليونانية وانتسب إلى الدعوة الإسماعيلية وأضحى من كبار الدعاة، و يرجع الإسماعليون نسبه إلى سلمان الفارسي[1]، و طور أسس المذهب، ووضع الخطط التي أوصلت الفاطميين إلى الحكم، و يذكر أن ميمون القداح كان أحد تلامذة الفلسفة اليونانية، فاستغل التعاليم الأرسطاليسية و الأفلاطونية، لوضع التعاليم الإسلامية في قالب جديد و أسس حركة سرية لإحاطة الأئمة بستار كثيف[2] و يبدو أن الإقامة في المدينة أضحت مستحيلة بعد حملة الاعتقالات التي نفذها هارون الرشيد، فغادر محمد بن إسماعيل إلى فرغانة[3] ثم نيسابور[4]، وتزوج هناك، و أنجب ابنه عبد الله الرضى الذي تولى الإمامة من بعده، ونصب له حجبا و أمرهم بأن يتسموا باسمه للتستر عليه و خلف ميمون القداح بعد وفاته ابنه عبد الله، و كان حجة للإمام عبد الله الرضى بن محمد بن إسماعيل، فتابع عمل أبيه، و أستطاع أن يجمع معظم الفرق العلوية المنقسمة على نفسها في جبهة واحدة، و ضم إلى جماعته كل العناصر الساخطة على العباسيين ليشكل منهم جماعة تخلص لإسماعيل بن جعفر، مدفوعا بكره بالغ للعرب، ثم نقل مقر الدعوة و الإمام عبد الله الرضى و ابنه أحمد إلى الأهواز، وعندما انتقل الإمام إلى سلمية في أواخر عهد الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/813-833م)، خشية من ملاحقة العباسيين له، ظل حجته عبد الله القداح يقيم في الأهواز تسترا عليه، ثم لحق به إلى سلمية التي أضحت مركز الدعوة. اشتهر لعبد الله القداح ثلاثة أولاد هم أحمد و الحسين و علي، اعتمد عليهم في نشر الدعوة الإسماعيلية فجعل ابنه الحسين في سلمية مع الإمام الحسين بن أحمد لزيادة التستر عليه، كان أحمد الملقب بأبي الشلعلع مسؤولا عن الدعوة في العراق والأهواز

---

[1]– نبيل فياض، الطائفة الإسماعيلية، جسر يربط الدين بالعقل، مجلة الموسم، العددان 43 و 44، 1999، ص152.

[2] - نبيل فياض، المرجع نفسه، ص152

[3]– هي إسم لقرية من قرى فارس و هو إقليم عريض موضوع على سعة مدنها و قراها و قصبتها أخميثث، و ليس بما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة، كان الملك الساساني أنو شروان قد بناهاو نقل إليها من كل أهل بيت واحدا و سماها أزهرخانة أي من كل بيت، أنظر ياقوت الحموي، ج4، المرجع السابق، ص253

[4] – نيسابور حاضرة خراسان واسمها أيضا نشاور و كانت قاعدة الدولة الطاهرية (205-259هـ)، أنظر: أمين واصف بيك، المرجع السابق، ص117

فأدعى أنه من نسل عقيل بن أبي طالب[1] لاستقطاب الشيعة و كان قد أحكم النسب في البصرة[2] و اختص الابن الثالث علي بنشر الدعوة في خراسان و نهايته مجهولة. وعندما مات الحسين بن عبد الله القداحي في عام (260هـ/874م) عهد أبوه عبد الله إلى ابنه أحمد برئاسة الدعوة الإسلامية في سلمية بالإضافة إلى العراق، ثم انتقلت إليه رئاسة الدعوة بعد وفاة أبيه في عام (270هـ/884م)، و أصبح وصيا على ابن أخيه سعيد بن الحسين الذي تقلد وظيفة الحجة أو نائب الإمام عقب وفاة عمه أحمد في عام (280هـ/893م) ولم يكن قد تجاوز العشرين من العمر، فأظهر إخلاصا و تفانيا للمذهب الإسماعيلي، و لذلك كان موضع ثقة زعيمه الإمام المستور الذي قلده إمامة الإسماعيلية استيداعا لا استقرارا[3]، واتخذ اسم عبد الله، و ادعى أنه من السلالة الشيعية، وأنه المهدي، وهو عبيد الله أول الحكام الفاطميين في إفريقية[4].

هذه رواية المصادر التي نسبت الفاطميين إلى القداحية، أنكرت نسبهم إلى علي و فاطمة وهي مستقاة من رواية أبي عبد الله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي في رده على الإسماعيلية في أواخر القرن الرابع الهجري، أيام العزيز الفاطمي، التي تقف هذه الرواية عند ذكره. وقد نقلها ابن النديم في كتابه الفهرست، وكان معاصرا لابن رزام و أخذها عنه من جاء بعده من المؤرخين.

و هناك تصريح اعتراف صريح من شخص علوي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وهو الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن الحسين المعروف بأبي محسن. ينفي فيه نسب الفاطميين إلى علي و فاطمة.

---

[1]- عقيل بن أبي طالب ابن عم رسول الله، أبو يزيد و أبو عيسى، كان أصغر من أخيه علي بعشرين سنة، و من جعفر بعشر سنين، أنظر: شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي، سيرة أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة، ص99

[2]- ابن النديم، الفهرست، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط1، 1994، ص233

[3]- الإمام الحقيقي يكون من نسل علي و فاطمة، وهو إمام مستقر، و يكون في الظروف العادية، أما الإمام المستودع فنبي بإمام حقيقي، و يكون من نسل علي و فاطمة، أو من الأتباع الثقاة ليحتفظ بالإمامة في الظروف العصيبة إلى أن يسلمها في الوقت المناسب لصاحبها الشرعي، لذا ذهب البعض إلى القول بأن المهدي إمام مستودع بالنسبة إلى أبي القاسم القائم، أنظر: حسن إبراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص157.

[4]- ابن النديم، المصدر السابق، ص233

و يذكر أن مذهب الإسماعيلية لم يكن سوى خدعة من عبد الله بن ميمون القداح الذي استهدف، بفضل تعليم خفي تدريبي في سبع درجات، القضاء على الإسلام، ويعد محور الحركة التي ظهرت في القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي[1]

المطلب الثاني: رأي المؤيدين لنسب الفاطميين إلى علي و فاطمة:

إذا كانت المصادر التي تنكر نسب الفاطميين إلى علي و فاطمة على هذا الشكل من وضوح الرؤية، فإن المصادر المؤيدة لهذا النسب يكتنفها الغموض والاختلاف و الاضطراب وهي ليست واحدة دائما، إذ يوجد اختلاف في أسماء الأئمة، من ذلك أن اسم والد عبيد الله المهدي غير متفق عليه بين هذه المصادر فثمة رواية واحدة تذكر أنه ابن أحمد و ليس ابن الحسين بأن عبيد الله المهدي يظهر أحيانا بوصفه علي بن الحسين، ففي الرسالة التي أرسلها عبيد الله المهدي إلى اليمن، والتي كشف فيها النقاب عن نسب الفاطميين، وذكر أسماء الأئمة المستورين يقدم لنا النسب الفاطمي بصورة مغايرة لما قدمه التراث الإسماعيلي، المتعلق بأنساب الفاطميين[2]، فيذكر جده الأعلى عبد الله أخو إسماعيل الأكبر، و أن جعفر الصادق عين عبد الله وليس إسماعيل وريثا شرعيا له، إذ أن جعفر الصادق خلف أربعة أولاد و هم: عبد الله، إسماعيل، موسى، ومحمد، و صاحب الحق فيهم عبد الله و لما أراد هؤلاء إظهار الدعوة الحق خشو من اضطهاد العباسيين،فتسموا بأسماء غير أسمائهم، فكانوا يحملون ألقابا، و أحيانا أسماء مستعارة تخفي حقيقتهم وأطلقوا على أنفسهم أسماء مبارك، ميمون، وسعيد و هي إشارة واضحة إلى مبدأ التقية عند الشيعة، فلقب ميمون الذي أطلق على أحد أولاد جعفر الصادق[3] هو الذي قاد إلى هذا الخلط، وقد أدرك الداعي المطلق إدريس عماد الدين خطورة هذا الخلط فعلل الأمر بقوله: "و كان الدعاة أيام الأئمة المستورين منذ استتار الإمام محمد بن إسماعيل، يسمونهم بغير

---

[1] – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تحقيق: حسين نصاب، عبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، 1983، من ص82، 83

[2] – أنظر نص الرسالة في كتاب نسب الخلفاء الفاطميين، أسماء الأئمة المستورين، كما وردت في كتاب أرسله عبيد الله المهدي إلى ناحية اليمن، لابن فهد النجم عمر بن محمد المكي، تقديم حسن فيض الله الهمذاني.

[3] –عماد الدين إدريس، عيون الأخبار و فنون الآثار السبع، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت– لبنان،ص ص339_394

أسمائهم و يختلفون في الأسماء إخفاء لأمر الله وسرا لأوليائه لتغلب الأضداد وقوة أهل العناد، لذلك و قع الاختلاف في الأئمة المستورين، وكثر خوض الخائضين وقول القائلين"[1]، و عليه فإن تسلسل الأئمة كالآتي: عبد الله بن جعفر الصادق، ثم عبد الله بن عبد الله، ثم أحمد بن عبد الله، ثم محمد بن أحمد، و يسمى كل واحد من هؤلاء بمحمد لأن المهدي سيكون محمد بن إسماعيل فكان كلما قام فيهم إمام سمي بمحمد باستثناء عبد الله بن جعفر فقد تسمى بإسماعيل، إلى أن يظهر صاحب الظهور الذي هو محمد بن إسماعيل فتزول التقية. ويذكر عندما نسب المهدي إلى نفسه في الرسالة قال:"علي بن الحسين بن علي بن أحمد بن عبد الله ثانية بن جعفر بن محمد بن علي ين الحسين بن علي بن أبي طالب... و اسمه الظاهر عبد الله بن محمد لأنه بن محمد بن أحمد في الباطن، وعليه يكون محمد أبا المهدي الباطن ليس مثل المهدي بن إسماعيل[2] و يتوافق ذلك ما جاء في بعض كتب الأنساب و الفرق، فيذكر ابن حزم أن ولاة مصر الذين ادعوا في أول أمرهم إلى عبد الله بن جعفر بن محمد فلما صح عندهم إن عبد الله لم يعقب إلا ابنة واحدة اسمها فاطمة، تركوه و انتموا إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد[3]. و يذكر النوبختي و القمي أن عبد الله لم يخلف أولادا، ولكن الثاني يذكر في مكان آخر أن عبد الله ولد له ولد من أم ولد اسمه محمد، و أنه أرسله إلى جهة اليمن، وانتقل بعد وفاة والده إلى خراسان و أنه الإمام بعد أبيه، و هو القائم[4]

ويذكر الداعي المطلق إدريس عماد الدين أن الإمام الرابع عبد الله الرضي بن محمد بن إسماعيل، استخلف أخاه الحسين مكانه، و أمر أتباعه بطاعته، غير أن الحسين قتل في حياة أخيه، فعهد إلى ابنه أحمد بالإمامة، وهو الإمام التقي أحمد بن عبد الله الذي رزق بولد اسمه الحسين، وهو الإمام الذكي و والد المهدي، ولما شعر الإمام الحسين بدنو أجله، عين أخاه محمدا الملقب بسعيد الخير وصيا على ابنه الإمام

---

[1] – عماد الدين إدريس ، المصدر نفسه، ص394

[2] –ابن فهد، المصدر السابق، ص10

[3] ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص59.

[4] – النوبختي، المصدر السابق، ص ص 65، 66

المهدي، و أراد سعيد الخير أن يجعل الإمامة في عقبه، و يحولها عن الإمام المهدي، لكنه فشل في ذلك[1].واستنادا إلى كتاب التراتيب فإن أسماء الأئمة تختلف عن غيرها مما جاء في غالبية المصادر الاسماعلية و غير الإسماعيلية، فذكر أن إسماعيل تستر على نفسه حجابا لعظم الفترة و تغلب الضد، و انتسب الإمام الحق إلى ابن أخيه و هو محمد، ولما حضرته الوفاة، سلم هذا الأمر إلى ولده الرضي[2]، وهو أول الأئمة المستورين، فقام أحمد بالإمامة، وكان حجابه الذي أحتجب به، و ستره الذي ستره والذي نصبه و أقامه مقامه ميمون القداح و أمره الإمام أن يأخذ العهد لنفسه يعني لميمون القداح، ففعل ما أمر به الإمام و لم يزل قائما بالأمر إلى أن توفي أحمد، فسلم الإمامة إلى ابنه محمد، و أمر عبد الله بن ميمون القداح أن يقوم مقامه و يأخذ العهد لنفسه كفعل أبيه فلم يزل قائما بالأمر حتى توفي محمد، فسلم الأمر إلى ابنه أحمد، فعين أحمد أخاه إمام مستودعا، على أن يقوم مقام والده محمد المهدي و يكزن حجابا له، فقام المهدي بالإمامة وقام عمه بالخلافة، و حاول هذا العم أن يحول الإمامة، إلى أولاده ففشل في ذلك.وهناك أمر غير مؤكد فيما يتعلق بصلة القرابة بين عبيد الله المهدي،وبين القائم الذي خلفه في الحكم فقد يكون القائم ليس ابنا لعبيد الله المهدي، مع أن الأخير كان يعده ابنا له من الناحية الرسمية وكان تصرفه اتجاهه عندما دخل رقادة، يشير إلى أنه يعده المهدي المنتظر، فقد عامله بتوقير شديدا، ورفع مقامه عن مقامه هو شخصيا[3].

ففي حين تؤكد كتب الظاهر الموجهة للعامة أن الحاكم الفاطمي الثاني القائم هو ابن عبيد الله المهدي، تنفي بعض النصوص الباطنية الموجهة للخاصة،والمطلعين على الأسرار، بنوته إلى عبيد الله المهدي، و تنسب الأخير إلى أصل غير علوي بل ميموني[4].

---

[1] – عماد الدين إدريس، المصدر السابق، ص ص366– 404.

[2]- سهيل زكار، المرجع السابق، ص ص 288 – 290

[3] – دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ج35، ص 738

4– لويس برنارد، أصول الإسماعيلية و القاطمية و القرامطة، ترجمة خليل أحمد جلو، جاسم محمد الرجب، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ص ص 33–37.

و قامت على أكتاف الداعي أبي عبد

نظري

ل أبا سفيان و الحلواني إلى شمال
ة، و أمرتهما بأن:

م.

هما و زودهما بهذه التعليمات[2].

ي ضاحية مرماجنة[3]، يقال لها تالة،
، و تشتغل مركز تجاريا هاما فبني
، وعاش حياة مثالية زاهدة، واشتهر
فهرع إليه سكان المناطق المجاورة،
ه ودعا إلى الإمام الرضى من آل
ظر و أضحت مرماجنة بتأثيره، دار
ستقطب السفياني التجار وأدخلهم في
كثر فيها التشيع حتى غدت تعرف

د الشام ، المرجع السابق، ص63.

ل مرحلة، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5،

و بين قفصة مرحلتان، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر

باسم الكوفة الصغرى[1]. ثم انتشر المذهب الشيعي في الأربس[2] شمالا، ثم توفي السفياني قبل وصول الداعي أبي عبد الله.

وتوغل الحلواني، في أرض البربر، بعد أن فارق السفياني عند مرماجنة، واستقر في كتامة البربرية، أقوى القبائل تلك الناحية و سلك نهج السفياني فأشتهر ذكره أقبل الناس عليه وتشيع الكثير منهم على يده بالخصوص من كتامة ونفزة وسماتة، وكان يقول لهم:" بعثت أنا وأبو سفيان فقيل لنا، اذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضا بورا فأحرثها و أكرباها و ذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة، فبذر حبه فيها"[3]. وعاش الحلواني دهرا طويلا، ومات في الناظور تاركا ابنته أم موسى و عددا من الأفراد من معارفه، عاش بعضهم طويلا و حضروا وصول الداعي أبي عبد الله[4].

و لا شك بأن نشاط هذين الداعيين قد مهد السبيل أمام من جاء بعدهما ليقطف الثمار، و يبدو من خلال النص الذي حدد مهمتهما الإيحاء بأن المهمة التي أوكلت إلى الداعي أبي عبد الله بعد ذلك لم تكن سوى تتويج لمرحلة سبقت، خطط لها بدقة قبل 135 عاما.

وأن أبا سفيان و الحلواني لم يقوما بدعوة بالمعنى المعروف في الاصطلاح الإسماعيلي، و إنما قاما بشيء أبسط تمثل في نشرهما محبة آل البيت و فضلهم الذي صاحبه الأصول العامة لمذهب الإسماعيلي وهو الذي أطلق عليه القاضي النعمان "ظاهر علم الأئمة". فيكون هذان الرجلان رائدين للتسلل العلوي الإسماعيلي، و هيئا التربة للداعي الإسماعيلي أبي عبد الله[5].

---

[1] – البكري، المصدر السابق، ص57.

[2] – مدينة وكورة بإفريقية، و كورتها واسعة، و أكثر غلتها الزعفران و بها معدن الحديد، بينها و بين طرابلس الغرب ثمانية منازل، وهي ذات مياه جارية، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4 ، ص289.

[3] – القاضي النعمان، المصدر السابق، ص ص57–58

[4] – المصدر نفسه، ص58.

[5] – محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، دار الغرب الإسلامي–بيروت، 1985، ص ص 255، 256

المطلب الثاني: مرحلة الإعلان والتبليغ بالدعوة الإسماعيلية:

صاحب هذه المرحلة هو أبو عبد الله الشيعي، والتي انتقلت على يديه الدعوة من الإعداد النظري إلى الدور العملي المادي لبناء دولة آل البيت، كان رجلا صوفيا جارا لأبي علي الداعي في الكوفة، وتعد هذه المدينة مهد الحركة الشيعية، مركز تخرج الدعاة الذين انتشروا في جميع أنحاء العالم الإسلامي للتعريف بقضية آل البيت، فليس بدعا أن يكون أبو عبد الله الداعي أحد الذين تخرجوا من هذه المدينة ووصفه القاضي النعمان بقوله: "وكان ذا علم و عقل و دين وورع، و أمانة ونزاهة، أنساف أكثر لعلم الباطن ونظرا في علم الظاهر وأم يبالغ فيه"[1]، وعرف بالمعلم لأنه كان يُعلم مذهب الإمامية الباطنية، وسمي بالمحتسب لأنه كان يعمل محتسبا بسوق الغزل في البصرة، وعرف أيضا بالصوفي لأنه كان يلبس الثياب الخشنة وكان على شيء من الذكاء و المهارة استغلهما في الوصول إلى ما يريد[2]، أرسلته القيادة في سلمية إلى اليمن ليتدرب على يد الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان، أبرز الدعاة، فاستقبله و قربه منه، وكان قد تعرف عليه في الكوفة، و لم تمض أكثر من سنة، حتى انضم أبو عبد الله إلى قافلة الحجاج اليمنيين. وخرج معهم إلى مكة، في عام 279هـ/893م، ذلك أن رؤساء الدعوة الإسماعيلية اتفقوا بعد مشاورات مستفيضة، وتبادل الرسائل على إرساله إلى المغرب لمتابعة العمل بعد وفاة أبي سفيان والحلواني و الاستيلاء على الحكم بمساعدة قبيلة كتامة.

وصل أبو عبد الله إلى مكة، واجتمع بحجاج كتامة في منى، وكانت الجماعة الكتامية تضم شخصين ينتميان إلى بطن كبير من بطون كتامة هما حريث الجميلي و موسى بن مكارم، الذين اعتنقا المذهب الشيعي بتأثير الحلواني، ودار حديث مطول بين الطرفين حول فضائل علي وبنيه، وتكررت اللقاءات، وتزايد إعجاب الكتاميين بصديقهم الجديد الذي استقطبهم بالتأثير النفسي والإقناع والاستهواء [3] .

---

[1] – القاضي النعمان، المصدر السابق، ص59.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص 31– 65.

[3] – المصدر نفسه، ص 60–63.

و لما انتهى موسم الحج، واستعدوا للرحيل، سألوه عن وجهته، فذكر لهم مصر، فطلبوا منه الانضمام إليهم و استفتى منهم أثناء الرحلة بعض المعلومات المتعلقة بوضعهم السياسي والاجتماعي، وكل ما من شأنه أن يفيد مهمته، و لم يكشف لهم عن نواياه و دوافعه الحقيقية[1]،بل كان يجتهد في تضليلهم.

ولما وصلوا إلى مصر، تظاهر بأنه يريد الإقامة فيها لتعاطي مهنة التعليم، فاقترحوا عليه أن يسير معهم إلى بلادهم ليعلم أبناءهم ووعدوه بمساعدته ومنحه مزايا ملائمة فأعتذر ببعد المسافة، ووعدهم باقتفاء أثرهم إن خابت آماله في الحصول على عمل كمؤدب في الكتاب وكان ذلك دهاء منه لحفزهم على التمسك به مبرهنا عن حنكة سياسته.

فغاب عنهم بعض الوقت ثم قال لهم: "لم أجد بهذه البلاد ما أريد"[2]، فتمنوا عليه أن يصبحهم إلى بلدهم، والواقع أنه خلال هذه الغيبة، التي كانت ضرورية لتقديم نتائج الاستطلاع الأول، وطلب تأكيد جديد لمهمته، فاتصل بنائب الإمام، وبعد أن قدم تقريرا، حصل على تأكيد لمهمته.

إغتبط الكتاميون بانتداب مثل هذا المعلم، و أحاطوه بكثير من التبجيل والرعاية، ثم استأنفوا رحلتهم إلى أن وصلوا إلى سوجمار، فاستقبلوا فيها بالترحاب واجتمع حريث و موسى بعدد من الشيعة من أهل تلك البلدة، التي لا تزال تعاليم الحلواني حية فيها، كان من بينهم أبو حيون بن المقش و أبو القاسم الورفجومي، وأبو عبد الله محمد بن حمدون بن سماك الأندلسي[3].

و بعد أن استراحت القافلة في سوجمار استأنفت رحلتها باتجاه بلاد كتامة و انضم إليها كل من الورفجومي و الأندلسي، ووصلت إلى المنطقة يوم الخميس في (15 ربيع الأول 280هـ/أوت 893م)[4]، ووقع اختيار أبي عبد الله على قلعة صغيرة

---

[1] – المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص55.

[2] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص125.

[3] – القاضي النعمان، المصدر السابق، ص68

[4] – ابن الأثير، المصدر السابق،ج6، ص584.

يقال لها إيكجان[1] تقع في فج الأخيار قرب قسنطينة و تقيم بها قبيلة سكتان التي ينتمي إليها حريث و موسى[2] .

بدأ أبو عبد الله مهمته في ظروف ملائمة، كان عليه خلق مجتمع متماسك يستند إلى بنية سياسية متينة، لينطلق منه لنشر دعوته في البلاد و تبين له بنظره الثاقب، أن الدين هو المدخل الذي يكفل له حشد الناس من حوله، فاتخذه قاعدة له ومكن لنفسه في كتامة عن طريق الجلوس لتعليمه في المجتمع البربري.

و يبدو أن أول ما قام به هو الاستفادة من جهود الدعاة الذين سبقوه، و لعله قام بإعادة تنظيم جهاز الدعوة، و أعد الدعاة الجدد عقائديا و عسكريا، و بنى صدقات مع زعماء القبائل من خلال التعليم الذي اقتصر في البداية على أبناء شيوخ القبائل،ولا شك بأن الأفكار التي طرحت كانت بسيطة تعلقت بحق آل البيت بالإمامة ثم بفكرة المهدي و قرب ظهوره وشروط طاعته المطلقة والإيمان به و تقديسه، واجتهد أن لا يستعرض في بادئ الأمر من المذهب الذي كان يسعى إلى نشره سوى جانبه الظاهر، فاقبل عليه الناس و التفت حوله المجموعة الأولى التي ضمت عددا من المريدين الذين سيساعدونه على الاضطلاع بمهمته، وسيكونون أخلص المساندين له، وهم: هارون بن يونس، الحسن بن هارون، أبو يوسف ماكنون بن ضبارة، و ابن أخيه أبو زاكي تمام بن معارك، بالإضافة إلى حريث الجميلي وموسى بن مكارم و أبي عبد الله الأندلسي و أبي القاسم الورفجومي[3] و سماهم الإخوان أو المؤمنين كناية عن أنهم قبلوا الدعوة الإسماعيلية، ودخلت في قلوبهم، أما هو فإنه كان ينادي عليه يا أخانا[4] ،و لما وثق أبا عبد الله بكتامة أخذ يدعوها إلى الاحتشاد، وكان حشده إياها كما رواه ابن عذارى المراكشي، أن يكتب إلى رؤساء القبائل و هم

---

[1] – إيكجان جبل بقرب سطيف، على مرحلة و نصف من بجاية، وبه قبائل كتامة، وبه حصن حصين، ومعقل منيع، أنظر: أبي عبد الله ابن الشريف الادريسي، وصف إفريقية الشمالية والصحراوية، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق هنري بيرس– الجزائر، 1957، ص ص 63– 70

[2]– فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط1، 1994، ص ص: 89، 90

[3] – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص90

[4] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية و مصر و بلاد الشام ، المرجع السابق، ص67

يحشدون من يليهم طاعة له و رغبة فيه. كان لا يزيد في كتابة إليهم عن أن يقول: "إن الموعد يوم كذا في موضع كذا و يصرخ صارخ بين يديه: حرام على من تخلف فلا يتخلف عنه أحد من كتامة، فاجتمع إليه بهذه الطريقة ما لا يحصى كثرة، ثم خرج بهم لقتال جيش الأغالبة في كينونة في رجب 298هـ، و كان على قيادتهم إبراهيم بن حبشي التميمي. فوقعت بينهم معركة عظيمة تغلب فيها الكتاميون على الأغالبة.

وبعد هذا الانتصار أخذ أبو عبد الله في فتح إفريقية فاستولى على مدنها الواحدة تلوى الأخرى[1] مثل باغاية[2] وميلة، و المسيلة و بلزمة[3] و قسطيلية، وترك حامية كتامية بها، ثم عاد بعدها إلى إيكجان للتهيؤ للمعركة الحاسمة ضد زيادة الله الثالث مع عمه إبراهيم بن الأغلب، حيث أعدوا جيشا قوامه 40 ألف مقاتلا و لقيهم أبو عبد الله في أحواز الأربس سنة 296هـ/ 909م[4] ، و أسفرت المواجة هناك عن هزيمة ساحقة للجيش الأغلبي و لما بلغ زيادة الله الثالث خبر هذه الهزيمة تحقق من زوال دولته فجمع ماله وآل بيته و خرج من رقادة[5] ليلة الاثنين 26 جمادى الثانية 296هـ/ 18 مارس 909م، و قصد المشرق فأقبل أبو عبد الله الصنعاني على القيروان ودخلها بجنوده، وبعد أن وطد الأمور توجه إلى سجلماسة بالمغرب الأقصى، فأنقذ عبيد الله المهدي الذي كان معتقلا هناك و سلم إليه مقاليد الحكم[6] .

---

[1] – عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا، تحقيق: أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط1، 1987، ص ص 318، 319.

[2] – مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة و قسنطينة، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 325

[3] – بلزمة: تقع إلى الجنوب من سطيف على مرحلتين منها بالقرب من قسنطينة أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه،ج1، ص ص 91، 92

[4] – موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع– الجزائر، 1979، ص298

[5] – رقادة: مدينة عريقة تقع جنوب القيروان بتونس، أسسها إبراهيم الثاني زعيم دولة الأغالبة في شمال إفريقيا التي قامت عام 184هـ/ 800م، و كان بها قصر ضخم بناه والد إبراهيم الأغلب في نهاية القرن الثاني الهجري و قد بقيت المدينة في حوزة الأغالبة حتى دخلها الفاطميون عام 297هـ/910م و اتخذوها بدورهم عاصمة أولى لهم قبل بنائهم لمدينة المهدية،والمدينة تبعد عن مدينة القيروان بحوالي 10كم تقريبا، أنظر: عبد الحكيم العفيفي، موسوعة 1000مدينة إسلامية، مكتبة الإسكندرية، ط1، ص255.

[6] – عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 319

الفصل الثاني :

قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب .

1- المبحث الأول: رحلة عبيد الله المهدي إلى بلاد المغرب

2- المبحث الثاني : الإجراءات التنظيمية والسياسية والمذهبية.

3- المبحث الثالث : الصعوبات التي واجهت عبيد الله المهدي

4-المبحث الرابع : بناء المهدية عاصمة للدولة الفاطمية

المبحث الأول: رحلة عبيد الله المهدي إلى بلاد المغرب.

حدثت في منتصف القرن الثاني للهجري، تطورات سياسية دفعت عبيد الله المهدي إلى مغادرة مركز الدعوة في سلمية، لعل أهمهما:

- انقسام الحركة الإسماعيلية، و انشقاقها على نفسها بفعل بعض التغيرات التنظيمية، و قد أدت إلى مهاجمة القرامطة[1] مركز الدعوة في سلمية.

- كشف شخصية المهدي من قبل العباسيين، فخشي على نفسه، وأدرك استحالة بقائه في سلمية، و قرر الخروج منها.

- إن رواج الدعوة الإسماعيلية الواسع في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، أذن بقرب زوال عهد سيادة السلمية، و كان لابد للإمام المستور من أن يظهر، و لدور الستر من أن ينتهي، و للمذهب الإسماعيلي من أن ينهض على أكتاف أئمة خلفاء.

- أنفذ أبو عبد الله الداعي الرسل إلى سلمية، يخبرون الإمام بما استولى عليه، ويدعوه إلى الحضور إلى إفريقية. وفعلا خرج عبيد الله المهدي من سلمية في شهر رجب 289هـ/ أوت 902م، و اصطحب معه القائم، و هو يومئذ صبي ابن عشرة أعوام، و داعي الدعاة فيروز، و أبا العباس، أخ عبد الله الشيعي، وحاجبه المقبل جعفر بن علي صاحب السيرة، و بعض الأتباع الكتاميين، و اتجه صوب المغرب، وقد سمع بخروجه الخاص و العام، فاصدر الخليفة العباسي المكتفي (289-295هـ/902-908م) الأوامر بالقبض عليه، إلا أنه نجح في الوصول إلى الرملة[2].

---

[1]- القرامطة: هي فرقة من الشيعة الإسماعيلية نشأت بالعراق و كان غرضها المساواة، وسميت كذلك نسبة إلى رجل من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة، وكان يدعو إلى الإمامة من آل البيت، أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، موقع الكاشف، www.ELKACHEF.NET ،ص 358

[2]- الرملة: مدينة عظيمة في فلسطين، وكانت قصبتها كما كانت رباطا للمسلمين. أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص69.

بعد أن توقف قليلا في دمشق، و لم ينزل بطبرية[1] لأسباب أمنية[2]، و مكث في الرملة زهاء سنتين إلى أن فشلت ثورة القرامطة، الذين قتلوا أسرته و أهله في سلمية. ثم يمم وجهه صوب مصر في منتصف عام291هـ/في ربيع عام 904م[3]، وأقام في الفسطاط[4]، و حتى يتجنب رقابة السلطة و ملاحقاتها له، عاش بعيدا عن الأنظار، لكن سرعان ما انكشف أمره من قبل القائد العباسي محمد بن سليمان وبذلت الخلافة العباسية جهودا كبيرة للقبض عليه، إلا أنها لم تفلح بسبب ما اتخذه من وسائل الحيطة و الحذر[5].

و حملته هذه التطورات السلبية، على البحث عن ملجأ آخرا أكثر أمانا خارج مصر، فخرج من الفسطاط في أواخر عام 292هـ/ منتصف عام 905م متوجها إلى شمال إفريقية[6]، و قد فضلها على المشرق حيث كانت الحركة الإسماعيلية مضطرة إلى مواجهة الدولة العباسية التي ما زالت قوية، كما انه لم يذهب إلى اليمن، لأن هذه البلاد لم تكن قادرة على توفير المناخ السياسي، و الاجتماعي، و الاقتصادي الملائم لقيام الدولة الإسماعيلية وتوسعها، بالإضافة إلى ذلك، فإن دعاة اليمن مختلفين و على العكس من ذلك، كانت الدول الأغلبية تمر بمراحل شيخوختها و هي في حالة

---

[1]– طبرية: مدينة فلسطينية عريقة على الساحل الغربي لبحر الجليل، و هي من المدن المنخفضة على سطح البحر بحوالي 300م، أسسها الرومانيون في عهد الإمبراطور تيبريوس، و منها اتخذت اسمها، و احتلها اليهود في العهد الروماني المتأخر (القرنين 2و3 م)، و قد دخلها الإسلام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب– رضي الله عنه و قد اشتهرت المدينة في العهد الإسلامي بالحصر الجيدة، وكان فيها العديد من القصور والحمامات، عاشت المدينة عصور ازدهار و استقرار إبان الحكم الإسلامي حتى احتلتها القوات الصليبية عام 493هـ/1100م، وظلت محتلة إلى غاية عام 644هـ/1247م، أنظر: عبد الحكيم العفيفي، المرجع السابق، ص326.

[2]– جاء في سيرة جعفر أن العباسيين نجحوا في ترصد أخبار خروج المهدي من سلمية، و علموا أنه مر بدمشق، فأرسل الخليفة رسولا إلى والي الرملة يأمره بالقبض عليه.

[3]–القاضي النعمان،المصدر السابق، ص150، يحي بن سعيد الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس بيرس، طرابلس، 1989، ص62.

[4] الفسطاط: مدينة أسسها عمرو بن العاص سنة 22هـ بنى فيها مسجدا و حوله منازل جنوده في موضع شمال قصر الشمع المعروف عند العرب بحصن بابليون أو باب إيلون، نقلا عن الاسم اليوناني، معنى الفسطاط المدينة الجامعة وكانت حاضرة مصر و مقر الولاة و العمال إلى عهد تأسيس القاهرة، أنظر: أمين واصف بيك، المرجع السابق، ص88.

[5]– القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 150، يحي بن سعيد الأنطاكي، المصدر السابق ، ص62

[6] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص150.

تفكك. وكان الداعي أبو عبد الله قد نجح في استقطاب كتامة إلى دعوته، و حقق بعض الإنجازات التوسعية على الأرض فكانت دعوته تتدعم في المغرب[1].

سار عبيد الله المهدي وصحبه، وهم في زي التجار، حتى وصلوا إلى طرابلس في طريقهم إلى إيكجان، ثم أرسل أبا العباس و بعض الكتاميين إلى أبي عبد الله يبشره بقرب ظهوره، وأنه في طريقه إليه، وأمرهم بالمرور على القيروان لاستطلاع الأوضاع هناك، لكن زيادة الله الثالث علم بأمرهم و ألقى القبض عليهم[2].

كان عبيد الله المهدي يتقدم في غضون ذلك، باتجاه إيكجان وبات قريبا من حدود كتامة، غير انه عدل عن الذهاب إليها عندما علم بالقبض على أبي العباس واتجه جنوبا إلى سجلماسة، و يبدو أن التطورات العسكرية بين الأغالبة والكتاميين أجبرته على هذا التصرف، فهو بحاجة إلى ملجأ يستطيع أن ينتظر فيه بأمان نتائج تلك الاشتباكات، ورأى أن إمارة بني مدرار توفر له مثل هذا المأوى المؤقت، و لما دخل المهدي إلى سجلماسة، اتبع طريقته المعهودة ليؤمن الوقوع في أيدي الحكام، فأغدق الأموال على واليها اليسع، فاكتسب تقديره، و عامله معاملة حسنة[3]، و استأجر دارا تليق بشخصه فأقام فيها، كما اتصل ببعض أهالي القيروان، و أوفدهم إلى أبي عبد الله الداعي، و اشترى بعض المماليك لخدمته، مما يدل على انه أقام في سجلماسة حرا طليقا.

استمر هذا الصفاء السياسي بين الرجلين حتى وصل إلى اليسع كتاب من زيادة الله الثالث يخبره فيه بحقيقة أمر ضيفه، ثم علم باقتراب جنود الداعي من المدينة، فاضطر إلى تغيير موقفه منه، فحدد إقامته، و فصله عن القائم، وسجن أنصاره و عذبهم[4].

---

[1] فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص ص182،181.

[2] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص152.

[3] – المصدر نفسه، ص154.

[4] –المصدر نفسه، ص154.

والحقيقة أنه ما إن ركز الداعي أبو عبد الله سلطته في رقادة، حتى أخذ يتأهب للزحف نحو سجلماسة لاستقدام عبيد الله المهدي و تنصيبه على العرش فخرج من رقادة يوم الخميس 15 رمضان 296هـ/ 07أوت 909م على رأس جيش كبير، فمر بتاهرت التي خضعت له، و منحها الأمان و قتل صاحبها مع عدد كبير من أهل بيته، و بذلك يكون قد قضى على الإمارة الرستمية، ثم تابع زحفه، و وصل إلى سجلماسة يوم السبت 06 ذي الحجة من نفس السنة/ 26 نوفمبر[1].

وخشي أبو عبد الله من إقدام اليسع على قتل عبيد الله المهدي، فلاطفه مبديا عدم رغبته في الحرب، وأنه قد قدم لحاجة و ليس للحرب، لكن اليسع أمر بقتل الرسل الذين أبلغوه ذلك و أصر على المواجهة غير أنه لم يصمد أمام قوات الداعي، ولاذ بالفرار تحت جنح الظلام متوجها نحو الجنوب، لكن قبض عليه و قتل فيما بعد، وسلم وجهاء المدينة مدينتهم في اليوم التالي، إلى عبد الله، فدخلها و أطلق صراح المهدي و القائم و خدمه[2].

مكث عبيد الله المهدي مدة أربعين يوما في سجلماسة[3]، توجه بعدها إلى إيكجان وأقام فيها، كانت هذه الإقامة بمثابة إعلان عن بداية عهده، و استرجع بوصفه أمير المؤمنين، الأموال التي جمعت على أيدي الدعاة، و كانوا قد دفنوها هناك، فأحضروها إليه، ثم خرج من إيكجان إلى رقادة، فوصل إليها يوم الخميس (20 ربيع الآخر297 هـ/6 جانفي 910م)، و استقر في قصر الصحن الذي كان الداعي قد أقام به من قبل، و ذكر اسمه على المنابر يوم الجمعة و تلقب بالمهدي أمير المؤمنين و كأنه يريد أن يظهر بذلك أنه أصبح منذ ذلك الوقت صاحب البلاد، ثم بدأ بتنظيم دولته وأبطل ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة[4].

---

[1]– القاضي النعمان، المصدر نفسه، ص236، ابن عذارى، المصدر السابق،ج1، ص197، ابن الأثير ، المصدر السابق،ج6، ص597.

[2] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص239.

[3]– الأنطاكي، المصدر السابق، ص65

[4]– القاضي النعمان، المصدر السابق، ص ص245–254.

المبحث الثاني: الإجراءات التنظيمية و السياسية و المذهبية.

بادر عبيد الله المهدي عقب دخوله إلى رقادة، ومبايعته بالإمامة من قبل أتباعه يوم الخميس في 20 ربيع الآخر297هـ/ 06 نوفمبر 909م إلى وضع تنظيمات سياسية و إدارية و دينية تكفل لدولته الناشئة الاستقرار.

فمن حيث التنظيمات السياسية، فقد حدد عبيد الله المهدي أنه سيكون معتدلا في سياسيته، وإنما بصرامة، وأن رعايته ستشمل أتباعه من المؤمنين، وجميع المسلمين، وسيراعي أولياءه ورعاياه الأوفياء المخلصين،و سيقمع كل من يخرج عليه، ويخون أمانته، وينقض عهده كما أشار بالدعم الذي حضت به دعوته لدى أولياءه و أنصار حقه أولي الأبصار النافذة من سادات العرب ووجهاء كتامة، ثم دعا أهل إفريقية المعروفين بمناهضتهم للمذهب الإسماعيلي إلى التمسك بحبل طاعته وأسباب ولايته، و محبة آل البيت[1].

ومن حيث التنظيمات الإدارية، فقد اجتهد عبيد الله المهدي في إعادة تنظيم المصالح الإدارية، فبدأ بتشكيل الهيئة الحاكمة وجماعة القصر وحاشيته، وقد استعان في ذلك بنفر من الأغالبة الذين مالوا للعهد الجديد، وبجماعة من العرب الذين خدموا النظام السابق[2]، فاستجاب أبا الفضل جعفر بن علي، أبا جعفر أحمد بن عبيد، وأبا اليسربن إبراهيم بن محمد البغدادي الشيباني على الكتابة، وولى على بيت المال أبا جعفر الخرزي، وعلى ديوان الخراج أبا القاسم بن القديم، و على السكة أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودي، و على العطاء عبدون بن حباسة، و على قضاء مدينة رقادة افلح بن الملوسي، وأقر على عمالة القيروان الحسن بن أبي خنزير وعلى القضاء بهاء المروزي، وأمرأن يقلع من على المساجد و القناطير والقصور أسماء الذين بنوها و يكتب عليها اسمه[3].

---

[1]– سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص111.

[2]– محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية و مصر و بلاد الشام ، المرجع السابق، ص80

[3]– ابن عذارى ، المصدر السابق، ج1، ص159.

ومن حيث التنظيمات الدينية فغداة دخول عبيد الله إلى رقادة اخرج توقيعا أمر بان يدعى به على المنابر برقادة والقيروان والقصر القديم، كما أمر بالدعاء بعد الصلاة لمحمد صلى الله عليه و سلم و على علي كرم الله وجه. و فاطمة والحسن والحسين- رضي الله عنهم- والأئمة من ولده، الذي كان أبو عبد الله الداعي قد أمر به[1]، و لقد أحاط نفسه بكل مظاهر الإجلال والتقديس وخص نفسه وولي عهده بالمظلة[2].كما تجرأ عبيد الله المهدي على الزيادة والنقصان في بعض أمور الإسلام من ذلك أنه أمر بصيام يومين قبل رمضان،والقنوت يوم الجمعة قبل الركوع،والجهر بالبسملة في الصلوات المفروضة،كما أظهر التشيع الغالي حين سب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه،كما زاد في الأذان حي على خير العمل،حي على خير البشر[3] وأمر بالتكبير خمس مرات في صلاة الجنازة، ومنع البكاء على الميت، و أسقط من آذان الصبح"الصلاة خير من النوم"[4].

كما عمد إلى نشر الأفكار الغريبة عن الإسلام عن أهل المغرب، و ذلك قصد إبعاد الناس عن المذاهب التي كانوا عليها من ذلك. ظهور ما يعرف بالدعوة إلى التشريق سنة309هـ/921م على يد منسيب بن سلطان المكناسي بجبال الونشريس و تمثلت في أمور تخالف الإسلام، وذكر البعض أن ذلك تم إغراء منه، و من جملتها أن الرجل يدخل إلى حليلة جاره فيطأها و زوجها ينظر إليه، ثم يخرج فيبصق عليه ويقول: تصبر، فإن الصبر عد كامل الإيمان حسب ذلك المذهب .

كما أن أنشأ عبيد الله المهدي، ديوانا سماه "ديوان الكشف" وكان ذلك في سنة (298هـ/910م) مهمته الكشف عن كبار أعداء المذهب المصرحين بهذا العداء

---

[1]– القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 299، المقريزي، المصدر السابق، ج1،ص66.

[2]– المظلة: وهي شبه درقة في رأس رمح محكمة الصنع، رائقة المنظر، ظرف من الصناعة و الصياغة، و تظم الحجارة الكريمة، يمسكها فارس من الفرسان، أنظر: أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم، تحقيق: التهامي نقزة، عبد الحليم عويس،دار الصحوة للنشر ن ص 26.

[3]– مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ص132.

[4]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص160.

له، وأسند رئاسته إلى اثنين من أعوانه المقربين هما أبي جعفر محمد بن أحمد البغدادي و عمران بن أبي خالد بن أبي سلام[1].

عمل الفاطميون على فرض سلطانهم السياسي و المذهبي بالقوة من خلال مقاومة المذاهب الأخرى خاصة مذهب الخوارج، فقد قاوموا الخوارج الصفرية بسجلماسة منذ أن استولى الشيعي عليها حيث نهب المدينة وحرقها بالنار، ولا شك أن بعض علمائها قتلوا من اليسع بن مدرار،ومن بقي منهم إما خضع لسلطة الفاطميين، أو فر إلى أماكن بعيدة، وكان موقف الفاطميين من الإباضية بتاهرت اعنف و أشد حيث نكل بعلمائها[2].

كما عمل عبيد الله على القضاء على أهل السنة العامة و المالكيين خاصة وتجلى ذلك من خلال توزيع الدعاة على مختلف المناطق لنشر المذهب الإسماعيلي و اضطهاده للممتنعين عن ذلك خاصة علماء المالكية الذين يشكلون خطرا عليه وأسند محاربة المالكية للقاضي المروزي الذي استغل منصبه و سلط على هؤلاء كل أنواع العذاب، منهم إبراهيم بن محمد الصبني المعروف بابن البرذون، وأبو بكر بن هزيل اللذين عذبا ثم قتلا بتهمة الطعن في المذهب الإسماعيلي[3].

و يبدوا أن التعاليم الإسماعلية المتطرفة صادفت معارضة شديدة من جانب أهل السنة، فاضطر عبيد الله إلى تعديل تنظيماته المذهبي بإخفاء خصائص الدعوة الإسماعلية عن عامة الناس و تأسيس مدارس لتدريسها و نشرها و قد أطلق عليها"مدارس الدعوة"، لبث عقائد المذهب الإسماعيلي، و قد أراد أن تكون مدارس الدعوة أداة بينه و بين أشياعه حتى تظل زعامته عليهم قائمة، و يظل المذهب الإسماعيلي رائجا بينهم، وقد كان المغاربة أصعب مراسا من المشارقة في فهم

---

[1]- ابن عذارى ، المصدر السابق، ج1، ص160.

[2]- مرمول محمد الصالح، المرجع السابق، ص140.

[3] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، و مصر، و سوريا، و بلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة، ط3، 1964، ص327.

أسرار المذهب الإسماعيلي، إذ تعذر عليهم فهم التأويل في القرآن و الحديث ومظاهر الكون[1].

وعليه نقول أن المذهب الإسماعيلي قد نهض نهضة بعيدة اختلف عما كان موجودا من قبل، إذ بينما كان من مؤسسي المذهب الإسماعيلي الأوائل يرون استخدام الدعوة لتكوين دولة تهدف إلى هدم العباسيين وإرثهم و إذاعة عقائد المذهب، كان يرى عبيد الله ضرورة استخدام المذهب لمصلحة الدولة[2]. فكان لكل من الدواوين نظامه الخاص في نشر الدعوة و فلسفته الخاصة، فبينما كان الدعاة في دور الستر يدعون لإمام مستور أصبح الدعاة في دورالظهور، يحيطون بالإمام بهالة من التقديس و الإجلال، ولن يستطيع عبيد الله أن يحول أشياعه عن تلك السياسة إلا عن طريق مدارس منظمة ودعاة تمرنوا على ذلك فقد أنشأ الكثير من المدارس التي عملت على مناصرة الفاطميين والدفاع عنهم وقد أنجبت دعاة أكفاء مثل جعفر بن منصور اليمني[3] صاحب المؤلفات الكثيرة في الدور المغربي، و أبو حاتم الرازي[4]، و الداعي الكبير أبو يعقوب بن إسحاق السجستاني[5]، و قد نهضت على كاهلهم الفلسفة الإسماعيلية وازدهرت الدعوة الفكرية، وهكذا فقد بذر عبيد الله بذورالدعوة الإسماعيلية فجني خلفاؤه ثمار ما بذر[6].

---

[1]– عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية و سقوطها في مصر ، دار الفكر العربي– القاهرة، ط1، 1994، ص320.

[2]– حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص329.

[3]– جعفر بن منصور اليمني: وهو من أهم بناة المذهب الإسماعيلي و زعمائهم، إسمه الحسن بن فرج بن حسن بن حوشب، ولد جعفر في بيت هذا الداعي الكبير سنة302هـ ثم رحل إلى بلاد المغرب، فوجد الخليفة المهدي قد توفى سنة 322هـ بلغ جعفر مبلغا عظيما عند الخلفاء الفاطميين، حيث لقب بخادم المهدي و نائب القائم و كاتب المنصور، توفي في أواخر الستينات من القرن الرابع هجري، له عدة كتب في التأويل منها: كتاب الفرائض، حدود الدين، تأويل الزكاة، كتاب الكشف، أنظر: إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ص ص 704،705،706،707

[4]– أبو حاتم الرازي هو من دعاة الإسماعيلية القدامى، يكنى بأحمد بن حمدان بن أحمد الورسامي حاول نشر تعاليم الإسماعيلية في إقليم الديلم، و جذب قلوب أمراء البلاد، و حكامها إليها، من أهم كتبه أعلام النبوة، كتاب الزينة، كتاب الإصلاح، أنظر إحسان إلهي ظهير، المرجع نفسه، ص ص 720، 721، 722

[5]– أبو يعقوب إسحاق: من الدعاة المشهورين الذين وضعوا أسس المذهب الإسماعيلي، وأعطوه صيغة فلسفية، كان يلقب بـ داعي الدعاة، كان من معاصري الإسماعيلية الأوائل في دور الظهور، و حاول نشر دعوتهم في سجستان وبلاد ما وراء النهر، قتل سنة 360هـ، له العديد من المؤلفات و الكتب منها: إثبات النبوءات، كتاب الينابيع، كشف المحجوب، أنظر: إحسان إلهي ظهير، المرجع نفسه، ص 719.

[6]– ابن عذارى ، المصدر السابق، ج1، ص ص160–161.

المبحث الثالث: الصعوبات التي واجهت عبيد الله المهدي.

واجه أبو عبيد الله المهدي أثناء فترة حكمه العديد من الصعوبات نجح في القضاء على معظمها لذلك قام بالإجراءات التالية:

المطلب الأول: التخلص من أبي عبد الله الداعي.

لما بويع لعبيد الله المهدي بالبيعة العامة في القيروان، انتهت ولاية أبو عبد الله الشيعي بعد أن دامت عشر سنوات (278-297هـ/899-909م)، و أصبح وزيرا و خادما لعبيد الله، و لأول ولاية للمهدي فعل فعلة شككت الكتاميين في أصالته و مستوى تفكيره، فقد استولى على الأموال التي جمعوها في إيكجان، و أخذها دون أن يستشيرهم أو أن يكترث بهم، فبدأت نفوس كبار الكتاميين تتغير و يساورها الشك، خاصة و أن أبا عبد الله شاركهم في استيائهم و لم يخف من ذلك[1]، و كان من كبار الكتاميين هارون بن يونس المعروف بشيخ المشايخ، و يبدو أن هذا الرجل كان يتصور أن عبيد الله لابد أن يأتي بالمعجزات ليكون المهدي حقا[2]، فلما رأى تصرفه وجشعه إلى المال خاب ظنه فيه، فصارحه بذلك فهال ذلك عبيد الله فأمر بقتله، و كان ذلك خطأ جسيما منه لأن هذا الرجل كان من دعائم الدولة و كان بالإمكان استرضاءه[3]. ثم ما لبث عبيد الله أن حط من شأن أبو عبد الله و أخوه أبا العباس، واستبد هو بأمره وحكمه و كف أيديهما عن ذلك، إلا أن أبا العباس لم ينتهي عن ذلك، واستغل انهماك أبي عبد الله في الحملة العسكرية ضد سجلماسة، وحمل لواء المعارضة، و استقطب جماعة من وجوه كتامة، و أوقع الشبهة في عبيد الله، و دبر مؤامرة بغرض الإطاحة به[4]. بلغ حقد الناقمين حدا دفعهم إلى تشكيل حزب معارض و تدبير مؤامرة للإطاحة بعبيد الله المهدي قبل انتهاء السنة الأولى من ولايته ثم استغل نفور أهل كتامة من تصرفات عبيد الله المهدي اتجاههم، و قال لهم: "إن أفعاله قبيحة، و إنه قد يكون أخطأ فيه، وليس هوالمهدي الحقيقي الذي جاءت به البشائر

[1]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص145.

[2]-القاضي النعمان، المصدر السابق، ص310.

[3]- علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص65.

[4]- أحمد حسن صبحي، الدعوى الفاطمية، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط1، 2005، ص135.

بسبب ما أظهرمن أعمال تبعده أن يكون إمام الزمان و مهدي العهد"[1]، أضحى موقف عبيد الله المهدي حرجا بعد أن تخلى عنه كبار أنصاره الذين نصبوه على العرش[2]. ومن جهتهم فإن المتآمرين عقدوا اجتماعا يوم الجمعة في (26 ذي الحجة 297هـ/ 05 جويلية 910م) في مكان يسمى النور بجوار مدينة تنس[3] بالمغرب الأوسط، اشترك فيه عروبة[4] بن يوسف الذي كشف لعبيد الله المهدي ما جرى فيه من تآمر ضده وتعاهد الجميع على الثورة.

و يبدو أن المتآمرين ترددوا في شن المعركة، وعلى الرغم من تعدد اجتماعاتهم و إجماعهم على قتل عبيد الله المهدي، إلا أنهم لم يقوموا بأي عمل لتنفيذ ما عزموا عليه، و كان هذا خطأ كبير لأن هذا التردد أتاح لعبيد الله المهدي فسحة من الوقت لاتخاذ الإجراءات اللازمة لإحباط المؤامرة و التخلص من مدبري الفتنة. فبدأ بإقصاء أبي زكي تمام بن معارك أحد أبرز وجوه كتامة، وأحد أكبر المتآمرين، وكانت الاجتماعات تعقد في داره و بعث به إلى طرابلس، و كان عمه أبو يوسف عاملا عليها، فلما وصل إليها أرسل عبيد الله المهدي كتابا إلى الوالي يأمره فيه بقتله، و تم تنفيذ القتل يوم الاثنين في (15 جمادى الثاني 298هـ/ 18 أوت 911م)[5]، ثم أمر كل من عروبة بن يوسف الملوسي و جبر بن نماسب الميلي، بقتل أبي عبد الله و أخيه العباس، فوقفا لهما عند القصر، فلما مر الشيعي و أخوه خرج عليهما، فصاح أبو عبد الله بعروبة، لا تفعل يا ولدي! فقال له عروبة: أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته، و كان ذلك يوم الثلاثاء وقت زوال مستهل ذي الحجة حسب رواية ابن

---

[1]-حسين مؤنس، المرجع السابق، ص483.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1،ص161.

[3]- تنس: آخر إفريقية مما يلي المغرب، بينها و بين وهران ثماني مراحل، و تبعد عن البحر نحو ميلين، انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج2، ص47.

[4]-عروبة بن يوسف الملوسي الكتامي، كان من رجال أبي عبد الله الشيعي، و اشترك معه في معظم غزواته، و لكنه كان يحسده، ويحسد أخاه أبا العباس، فظل يسعى بهما، مع نفر آخر من رجال كتامة حتى حفزا عبيد الله على قتلهما. أنظر: أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1962، ص 194.

[5]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص271.

عذارى من سنة 298هـ/910م، ثم أمر عبيد الله بدفنهما و قال:" رحمك الله أبا عبد الله! و أجازك في الآخرة بقديم سعيك"[1].

و بقتل أبي زكي ثم الداعي و أخيه، فقدت المؤامرة زعمائها، و لم يلق عبيد الله المهدي عناءا في مطاردة باقي أعضائها و قتلهم، و ابتهج بتخلصه من عقبة كبيرة كانت تعترض سيرة حكمه المطلق، و تهدد عرشه.

المطلب الثاني: قمع المقاومة البربرية.

1- القضاء على ثورة الزناتيين:

في الوقت الذي اعتلى فيه عبيد الله المهدي الحكم، رأى نفسه مضطرا للتصدي للثورات التي أثارتها القبائل البربرية الضاربة في الغرب، و بخاصة زناتة[2]، و يبدو أن الدافع لهذه الثورات هو العصبية القبلية و الروح الإقليمية، والتنافس بين زناتة و كتامة بعد انحياز أبي عبد الله إلى القبيلة الأخيرة.

ظهرت بوادر عداء زناتة للدعوة الإسماعيلية منذ أن قام الداعي أبو عبد الله في إيكجان، واشتد هذا العداء بعد إسقاط الإمارة الأغلبية، وحدث أن أرسل أبو عبد الله الداعي وفدا إلى سجلماسة في مهمة إلى عبد الله المهدي، لكن أعضاء الوفد لقوا مصرعهم في طبنة[3] الواقعة على مشارف منازل زناتة، على يد جماعة من رجالها، و لم يتمكن أبو عبد الله الداعي آنذاك من الانتقام لأنه كان منهمكا بتخليص عبيد الله من الأسر، اشتدت حركة المقاومة الزناتية للوجود الفاطمي بعد استيلاء الداعي على رقادة ثم دخوله تاهرت عاصمة الرستميين، وذلك نظرا لوقوع تلك المدينة في قلب مضاربهم وشعروا بوطأة النفوذ الفاطمي عليهم، و بخاصة أن تاهرت تعد مركزا هاما على طريق قوافلهم و تجارتهم، و من جهته، أدرك عبيد الله المهدي

---

[1]- ابن عذارى ، المصدر السابق، ج1،ص161.

[2]- زناتة: هي قبيلة بربرية، سكنت شمال إفريقية (تونس و الجزائر)، عند فتح المسلمين لهذه البلاد، زحزحهم بنو هلال إلى وادي شلف و وادي ملوية، و تشتت بعضهم في صحراء غدامس، و بلاد السوس في أواسط القرن 11 م،أنظر: ناصف أمين بيك، المرجع السابق، ص62.

[3]- طبنة: بلد في طرف إفريقية، مما يلي المغرب على ضفة الزاب، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص21

بعد استلامه الحكم، أهمية تاهرت كمركز عسكري لحماية حدوده الغربية، لذلك عين عليها أشهر قادته و أقدرهم، كان من بينهم أبو حميد دواس اللهيصي، و مصالة بن حبوس المكناسي، و أضحت تاهرت نتيجة هذا العداء مركز المقاومة الزناتية ضد الوجود الفاطمي في بلاد المغرب، هاجم الزناتيون مدينة تاهرت أكثر من مرة، لكنهم فشلوا في اقتحامها، و قضى الفاطميون على المقاومة الداخلية بعنف بالغ حيث بلغ عدد القتلى ثمانية آلاف، و استتب الأمر بعدها لعبيد الله المهدي[1].

المطلب الثاني: القضاء على الثورة الكتامية.

برزت مظاهر الطبيعة القبلية المتقلبة بين أبناء قبيلة كتامة الذين بهرتهم انتصارات أبي عبيد الله الداعي السريعة، و أسهموا بشكل بارز في قيام الدولة الفاطمية، و اعترف عبيد الله المهدي بفضل هذه القبيلة، فعين الولاة و حكام المدن والقضاة و الدعاة و قادة الجند من بين أفرادها، و شجعهم على التخلي عن حياة البداوة الخشنة، و أدرك أبو عبد الله الداعي خطورة هذا التبدل في نمط حياة القبيلة[2]، وخشي أن يفقد الكتاميون ميزتهم القتالية، و أفضى إلى عبيد الله بمخاوفه.

استاء المهدي بمخاطبة الداعي له بهذه الجرأة، واستمر في سياسته اتجاه أبناء قبيلة كتامة، و يبدو أن عبيد الله المهدي هدف إلى صرف أبناء كتامة عن التفكير بالتمرد على حكمه نتيجة التدابير التي نفذها بحق القبيلة و حواضرها، مما كنا قد أشرنا إليه، و اتبع سياسة التفرقة بين الكتاميين، فقرب إليه نفرا من الرؤساء، واستعان بهم في القضاء على أبي عبد الله الداعي، و أخيه أبي العباس و أنصارهما ثم قرب آخرين و استخدمهم في القضاء على هؤلاء، و رفع من شان عروبة زعيم ملوسة، و أهمل شأن أبي زاكي زعيم أجانه.

أثارت تدابير عبيد الله المهدي التي نفذها بحق أبناء كتامة، و بخاصة قتله لأبي زاكي الداعي، موجة من الاستياء، واضطر إلى الاحتجاب عدة أيام ظهر بعدها

---

[1]-ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص ص162،161.

[2]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص260.

ليعلن منح الأمان لكتامة لكن شكوكه فيهم استمرت على حالها[1] ، ولما استقبل وفدا من زعمائهم ألقى القبض عليهم و قتلهم، و شعر الكتاميون بالإذلال، و أحسوا بالألم من سياسة عبيد الله المهدي فقاموا بعدة ثورات ضد النظام.

انطلقت أولى تلك الثورات من مدينة رقادة، انتقاما لمقتل قادة كتامة ومصرع الداعي، واضطر المهدي إلى الخروج بنفسه إلى إخمادها والتنكيل بزعمائها واندلعت الثورة الثانية في إقليم الزاب[2] وهو الجزء الغربي من ولاية إفريقية[3] ، وأعلن الكتاميون انفصالهم السياسي و المذهبي عن الدولة الفاطيمة، فأقاموا غلاما حدثا من أخس أهل بيت فيهم يقال لهم بنو ماوطنت من أورسة يعرف باسم كادو بن معارك، و زعموا أنه المهدي، واتخذوا من محل إقامته قبلة لهم، و زحفوا إلى ميلة واستولوا عليها، و سيطروا عل أهم مدن إقليم الزاب سنها قسنطينة التي أضحت مركز لمقاومة الدولة الفاطمية[4] .

ذعر عبيد الله المهدي من هذه الحركة الثورية، فبادر فورا إلى إخمادها قبل أن تستفحل، فأرسل بنطاس بن حسن الملوسي على رأس جيش كبير، و جماعة من رؤساء كتامة ممن هم على عهده، اصطدم بالثائرين، لكنه انهزم أمامهم، مما دفع عبيد الله المهدي إلى إرسال القائم لقتالهم، فاستولى على مدينة قسنطينة من بلاد كتامة، و زحف إلى ميلة ثم التقى بالماوطنتي يوم الأحد (3 ذي القعدة 299هـ/21 أوت 912م) ، فهزمه و أرغمه على الفرار، و طارد أتباعه ثم توجه إلى إيكجان

---

[1] – محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية و مصر و بلاد الشام ، المرجع السابق ، ص ص 89،90

[2] – إقليم الزاب: يقع هذا الإقليم وسط مفازات نوميديا، و يبتدئ غربا من تخوم مسيلة، و يحده شمالا جبال مملكة بجاية، و يمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس، و جنوبا إلى القفار، التي تقتعها الطريق المؤدية من توقرت إلى ورقلة، و هذه المنطقة شديدة الحرارة ورملية، لا يوجد إلا يسير من الماء، و قليل من الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب، لكن عدد حدائق النخيل بها لا يحصى، أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بـــ: ليون الإفريقي، ج2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي –بيروت، ط2، 1983، ص138.

[3] – القاضي النعمان، المصدر السابق، ص273

[4] – المصدر نفسه، ص273، ابن عذارى، ج1،المصدر السابق، ص ص162 167.

وأقام معسكره فيها و أرسل عروبة لمطاردة الماوطنتي، فألقى القبض عليه، ثم عاد القائم إلى رقادة و معه الماوطنتي و بعض من أصحابه فقتلوا في إيكجان[1] .

كان لحركة التصفية التي قام بها عبيد الله المهدي ضد زعماء كتامة، أثر كبير في القضاء على الجيل الذي أنشأه أبو عبد الله الداعي، و ضعف شأن كتامة[2] وانهارت روح أبنائها المعنوية، وظل وضعها يتدهور حتى عهد الإمام الفاطمي المنصور[3] .

---

[1]– عماد الدين إدريس، المصدر السابق، ص124.

[2] - قبيلة كتامة واحدة من أهم بطون البرانس من قبائل الأمازيغ أو البربر، كما يعرفون تاريخيا بالمغرب العربي. و هي عند نسابة البربر منحدرة من كتام بن برنس، وقد تفرعت قبيلة كتامة إلى فرعين رئيسين هما: غريس و يسودة، و منهما تناسلت كل بطون كتامة المعروفين عند المؤرخين. و على هذا الرأي فهم عناصر محلية أصيلة و لقد ارتبطوا بهذه البلاد منذ فجر التاريخ و لم تأتي بهم الهجرات البشرية التي كان شمال إفريقيا مسرحا لها بواسطة عدة مراكز في العالم القديم. و إن لم يسلموا فيما بعد مثل غيرهم من سكان بلاد المغرب، أنظر: عمار عمورة، نبيل داودة، المرجع السابق، ص91

[3] –عادلة علي الحسد، قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، دار المستقبل– الإسكندرية، 1980، ص238.

المبحث الرابع: بناء المهدية عاصمة للدولة.

كان من بين أهم الأعمال التي قام بها عبيد الله المهدي، و تركت أثرها في مستقبل الدولة الفاطمية في الدور الإفريقي بناءه مدينة المهدية لتكون حاضرة تتوسط أجزاء دولته، وحتى تكون مقر للدعوة الإسماعيلية[1] ، و حصنا يوجه منه ضرباته إلى كل من تحدثه نفسه من الخوارج بالخروج عليه و على مذهبه، و يتخذها دار هجرة يعتصم بها هو و أصحابه إذا حاق بهم خطر خارجي، لذلك لم يتخذ فج الأخيار في جبل إيكجان دارا لهجرته، كما اتخذها أبو عبد الله من قبله، لأنها ليست في مكان يتوسط أجزاء دولته شرقا و غربا، كما انه لم يجد في القيروان أو رقادة مكانا يصلح لتحقيق هذه الأغراض السياسية و الحربية و الدينية، لانها كانت تزخر بالسنيين أنصار الأغالبة المعادين للفاطميين الشيعيين[2] .

فخرج المهدي إلى تونس يرتاد موضعا يبني فيه مدينة حصينة يعتصم بها فوقف إلى موضع يقال له المهدية، و هي متصلة بالبحر كهيئة كف متصلة بزند، فتأملها فوجد فيها راهبا في المغارة، فقال له: "بما يعرف هذا الموقع؟ فقال: هذا يسمى جزيرة الخلفاء"، فأعجبه هذا الاسم، فبناها و جعلها دارا لمملكته[3] .

تقع المهدية على بعد ستين ميلا جنوبي القيروان، وقد ذكر البكري أن البحر يحيط بها من ثلاث جهات و أنه يدخل إليها من الجانب الغربي، وقد شيدت مبانيها بالصخر و اتخذ المهدي لهذه المدينة بابين من الحديد لا خشب فيهما وزن كل باب منهما ألف قنطار، وطوله ثلاثون شبرا، و نقش على هذين البابين صور لبعض الحيوانات، و أقيم بها ثلاث و ستون صهريجا، عدا ما كان يجري فيها من القنوات، ولم تلبث هذه المدينة أن أصبحت مرفأ هاما، ومرسى المهدية منقور في حجر صلب يسع ثلاثين مركبا و على طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد، و قد بني

---

[1] – عبد الله كامل موسى عبده، الفاطميون آثارهم المعمارية في إفريقية و مصر و اليمن، ، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2001، ص38.

[2] – حسن إبراهيم حسن و طه أحمد شرف، المرجع السابق، ص204.

[3] – صالح عمار الحاج، المغرب العربي من خلال خلافة المعز لدين الله الفاطمي، ج1، القاهرة، المكتب المصري للتوزيع المطبوعات، 2004، ص159.

المهدي بمدينة المهدية دارا للصناعة تسع أكثر من مائتي مركب، وفيها قبوان كبيران مستطيلان لئلا تتأثر آلات المراكب و عدتها بأشعة الشمس أو ماء المطر[1].

وقد اختلف المؤرخون في السنة التي وضع فيها المهدي أساس مدينة المهدية، فيرى ابن عذارى[2] أن ذلك كان في سنة 300هـ/912م، و يرى ابن خلدون[3] انه كان في نهاية سنة 303هـ/915م، ويوافقه المقريزي[4] على ذلك ويظهر أن ما قاله ابن عذارى أقرب إلى الصواب، لأنه انتهى من بنائها في سنة 305هـ/917م أي أنه بناها في عامين أو أقل وهذه المدة لا تكفي في الغالب، لبناء مدينة عظيمة كتلك المدينة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن بناء المهدية سنة 300هـ يكاد يتفق مع ما قاله المؤرخون من أن المهدي بناها خوفا من جماعة أبي عبد الله الشيعي و أخيه أبي العباس، فإذا افترضنا صحة هذا الرأي فما هي الأسباب التي جعلت عبيد الله المهدي يؤجل هذا البناء من أواخر 298هـ/910 م إلى أواخر سنة 303هـ؟

وهذا ما يجعلنا نؤمن بصحة ما ذهب إليه ابن عذارى، و خصوصا أن البكري[5] و غيره من المؤرخين قد اتفقوا معه على أن أساس المهدية قد وضع سنة 300هـ.

لما فرغ المهدي من بناء حاضرته الجديدة في سنة 305هـ/917م، قال:" اليوم أمنت على الفاطميات، يعني بناته ثم انتقل إليها في شهر شوال سنة 308هـ/920م و أقام بها، ثم عمر فيها الدكاكين، ورتب أرباب المهن، و جعل لكل طبقة سوقا خاصة بها، و كان لهذه المدينة أرباض كثيرة آهلة و عامرة[6].

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص 3029.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص177.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص48.

[4]- المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص42.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص30

[6]- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع- الجزائر، 1968، ص167.

أمر المهدي ببناء مدينة أخرى بجوار المهدية، وجعل بين المدينتين ميدانا فسيحا، و أحاطها بسور،و أبواب و حراس، و سماها زويلة[1] نسبة لأحد قبائل البربر و أسكنها أرباب الدكاكين و أهاليهم و قال:"إنما فعلت ذلك لأمن عائلتهم، وذلك أن أموالهم عندي و أهاليهم هناك ، فان أرادوني بكيد وهم بزويلة، كانت أموالهم عندي فلا يمكنهم ذلك، و إن أرادوني بكيد و هم بالمهدية خافوا على حرمهم هناك، وبنيت بيني و بينهم سورا وأبوابا، فأنا آمن منهم ليلا و نهارا، لأني أفرق بينهم و بين أموالهم ليلا و بينهم و بين حرمهم نهارا"[2].

يعد كثير من مؤرخي الإسماعيلية مدينة المهدية دارا من دور هجرة هذه الطائفة، و لا غرو فإن هذه المدينة تضم إمامين، إمام مستودعا هو عبيد الله، و إماما مستقرا هو أبو القاسم- القائم-، لذلك فقد انتقل إليها المهدي و جعلها دار هجرة الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين، ويكفي المهدية فخرا أنها استطاعت أن تصد جحافل أبي يزيد مخلد بن كيداد، وأنها حققت بنبوءة المهدي حين قال بعد أن فرغ من بنائها:" الآن أمنت على الفاطميات"[3].

على أن الفرق بين المهدية وغيرها من دور الهجرة الإسماعيلية، أن هذه المدينة لم تقتصر على الإسماعيلية وحدهم، على حين نجد دار الهجرة عند القرامطة و الحواشب مثلا لا تضم أحد من غير الإسماعيلية، كما أن تسميتها " المهدية" لم يقصد بها الانتساب إلى عبيد الله المهدي وحده، بل أنها مدينة الأئمة المهديين من الخلفاء الفاطميين، لأن هؤلاء يعتبرون أئمة مهديين عند الإسماعيلية[4].

و لم تكن مدينة المهدية وحدها هي التي أنشأت في عهد عبيد الله المهدي، بل فقد بنيت في عهده مدينة " المحمدية" و هي مدينة " المسيلة" التي تقع إلى جنوب

---

[1]- زويلة: مدينة تونسية قديمة بنيت بأمر من الخليفة عبيد الله المهدي، و ذلك بعد البدء في بناء عاصمته المهدية، و على مقربة منها تكريما فيما يبدوا لإحدى قبائل البربر المسماة بالزويلة، و التي دعمت قيام دولته، و كانت المدينة مخصصة لتجميع المتاجر لأسواق فيها حتى تكون المهدية بعيدا عن ضجيج و أصوات مرتادي الأسواق، احتلت زويلة في منصف القرن 12م من قبل الإسبان، لكن الحفصيين طردوهم منها فيما بعد، أنظر: عبد الحكيم العفيفي، المرجع السابق، ص 230.

[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص203.

[3]- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام الديني و السياسي و الثقافي والاجتماعي ، دار الجيل- بيروت ط5 2001، ص422

[4]- حسن إبراهيم حسن و طه أحمد شرف، المرجع السابق، ص208

الغربي من رقادة ، وإلى الشمال من قسنطينة، وقد أنشاها أبو القاسم لإقامة خطا دفاعيا عن المهدية يقف في وجه القبائل المعادية[1].

لقد اكتسى بناء كل من المهدية والمحمدية أهمية كبيرة في تاريخ الدولة الفاطمية نظرا للدور الكبير الذي لعبتاه في صد غارات و هجمات القبائل الثائرة على الدولة، و هذا أن دل على شيء فإنه يدل على حسن سياسية الفاطميين و فطنتهم.

استمر عبيد الله المهدي في الحكم مدة أربعا وعشرين سنة إلى أن توفي في المهدية ليلة الثلاثاء 15 ربيع الأول 322هـ/ 3 مارس 934م، و كان عمره ثلاثة و ستون عاما، وهكذا نجح عبيد الله المهدي في إقامة و تأسيس دولة الفاطميين، بوصفه إماما و عرف كيف يواجه أعداء دولته الذين رفضوا الاعتراف به كما أن الدعوة الإسماعيلية خرجت في عهده من دور الستر، و شهدت تقدما كبيرا، لقد كان المهدي حاكما حازما و ماهرا طيلة مدة حكمه وذلك بفضل تطبيقه سياسة منتظمة بفرض سيطرته على شمال إفريقية و مواجهته لمختلف المذاهب، التي وجدت بالمنطقة ووضع حدا لها، و إخضاعه القبائل المناهضة لنظامه، و بنائه المهدية التي أضحت معقلا لأسرته وعاصمته الحصينة لدولته الناشئة، وبذلك يكون قد هيأ مختلف الظروف التي أدخلت الدولة الفاطمية مرحلة تاريخها الطويل.

[1]- البكري، المصدر السابق، ص84.

الفصل الثالث :
خلفاء عبيد الله المهدي في بلاد المغرب

.

1- المبحث الأول خلافة القائم بأمر الله .

2- المبحث الثاني: خلافة المنصور بالله اسماعيل

3- المبحث الثالث خلافة المعز لدين الله

المبحث الأول: خلافة القائم بأمر الله(322-334هـ/934-946م).

المطلب الأول: التعريف بالقائم

ولدَ الإمام القائم بأمر الله ابن الإمام عبيد الله المهدي في محرم سنة 280هـ بالسلمية، فارتحل مع أبيه الإمام محمد المهدي إلى المغرب، و عهد إليه بالإمامة من بعده حسب الأصول الإسماعيلية[1] لقب بأبي القاسم، تزوج القائم بأمر الله بعد عشر سنوات من وصوله إلى المغرب بامرأة تنحدر من أسرة قبيلة كتامة، المعروفة بآل عمار[2]، اقتفى القائم أثر أبيه و خط خطاه ونهج نهجه، و عمل جاهدا على تعزيز وازدهار الدعوة الإسماعيلية، و تعميمها في جميع البلدان و الأقاليم[3].

لقد كان القائم أبو القاسم على دراية تامة بشؤون الدولة، و أمور السياسة لأنه تحمل مسئوليات كبيرة في عهد المهدي، و تتمثل أساسا في قيادة الجيوش لإخماد الثورات الداخلية، و شن الحروب الداخلية[4] و توفي القائم في مدينة المهدية و دفن فيها سنة 334هـ، فتكون مدة خلافته 12 عاما.

المطلب الثاني: الأوضاع الداخلية في عهده.

حينما توفي المهدي توقع ابنه القائم أن تقوم ضده الثورات ، و يتمرد عليه بعض الخارجين عن أمره، لذا أخفى موته مدة سنة، حتى هيأ الأمور لنفسه، و وطد أركان دولته، و استعد لأية مبادرة تمرد تظهر ضده، و من أهم هذه التمردات والثورات التي نغصت عيش و حياة الدولة الفاطمية هي ثورة موسى بن أبي العافية، و ثورة أبي يزيد ين مخلد،

أولا: ثورة موسى ابن أبي العافية.

ظهر هذا الرجل الثائر على أيام المهدي، لكنه إلتزم الهدوء و الصمت، ثم بعد تولي القائم أعلن خلعه لطاعته، و نزل في مدينة فاس واتخذها قاعدة عسكرية له، ومنها انطلق نحو جهات أخرى، فقام بمهاجمة والي فاس حامد بن حمدان المعين من

---

[1]- مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس للنشر و التوزيع، ط3، 1979، ص170.

[2]- عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية من المغرب إلى المشرق، ج2، رياض الرايس للكتب و النشر – قبرص، ط1، 1991، ص14.

[3]- مصطفى غالب، المرجع السابق، ص170.

[4]- محمد الصالح مرمول، المرجع السابق، ص86.

قبل الفاطميين، فقتله و أرسل رأسه إلى الخليفة الأموي الناصر في قرطبة[1]، و لقد اعتبرت هذه الهجمة الانتفاضة الأولى في عهد القائم بأمر الله، أو أول الغيث، ثم انطلق موسى نحو البلدان المجاورة، فانتزعها الواحدة تلوى الأخرى، و بسط نفوذه عليها، و بعد أن تمكن من احتلال المنطقة المحيطة بفاس بكاملها، توجه إلى الريف وبلاد غمارة[2]، و كانت هذه البلدان تحكم من قبل الأدارسة الموالين للفاطميين[3]، وبعد سلسلة من المعارك تمكن موسى من احتلال مواطنهم، وإخضاعهم إلى نفوذه[4]. كان رد فعل الخليفة القائم اتجاه هذه الانتصارات السريعة لموسى بأن قام بإعداد جيش كبير أسند قيادته إلى ميسور الفتى احد زعماء كتامة، فزحف إلى فاس و طوقها، ثم دخلها عنوة.

أما موسى فبعد أن خاض جيشه عددا من المعارك مع ميسور، وجد ان لا قدرة له على الوقوف في وجه هذا الجيش الفاطمي الكبير، فترك فاس و سار إلى ناكور[5] وتمكن من احتلالها، و قتل كل من كان فيها من الموالين للدولة الفاطمية[6].

وصلت هذه الأخبار المزعجة و الجرائم الوحشية التي ارتكبها موسى إلى مسامع الخليفة القائم بأمر الله،فأمر على الفور بتشكيل جيش آخر، عهد بقيادته إلى صندل الفتى، شقيق ميسور، فغادر هذا الجيش المهدية في سنة 323هـ، و عندما وصل إلى ناكور وجد أن السلطة الفاطمية قد زالت تماما عن المدينة، فعجل

---

[1]– قرطبة: حاضرة الخلافة بالأندلس على الشاطئ الأيمن من نهر الوادي الكبير على سفح جبل سيراموريا وسط أرض خصبة، وقرطبة أخت بغداد عزا و علوا و حضارة وفيها المسجد الجامع الذي بناه عبد الرحمان الأموي سنة 792م، أنظر: أمين واصف بيك، المرجع السابق، ص92.

[2]– غمارة: من بطون المصامدة، يعتمرون جبال الريف، بساحل البحر الرومي، من لدن غساسة، و سبتة، و القصر إلى طنجة وغيرها من بساتيط المغرب إلى وادي ورغة، أنظر: أمين واصف بيك ، المرجع نفسه، ص86.

[3]– عارف تامر، المرجع السابق، ص20.

[4]– محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام ،المرجع السابق، ص130.

[5]– ناكور: مدينة كانت في شمال المغرب على نحو عشرة كم جنوب الحسيمة الحالية إلى الشرق بميراء و لم يبقى من آثارها اليوم إلا أطلال قليلة، و هي واقعة في إقليم صنهاجة الريف على سفح الشمالي لجبال الريف، و قد أسسها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور في أواخر القرن الهجري الأول، و في سنة 284هـ/858م نزل بها النورمان، الذين تسميهم النصوص العربية بالمجوس، و نهبوا ما فيها، و في سنة 473هـ/080ام خربها يوسف بن تاشفين، انظر: ابن الأبار،المصدر السابق،ج1، ص193

[6]– محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، المرجع السابق، ص131.

بدخولها[1]، و في تلك الفترة بالذات أخذت الأحداث تتفاعل و تتخذ أشكال مختلفة حاملة للقائم بأمر الله المتاعب الجديدة و العثرات المفاجئة، فقد قامت ثورة أخرى من جانب ثان، و برزت أكثر عنفا و قوة، و كان يقودها محمد بن خزر الزناتي بتمويل من الناصر الأموي أيضا[2]، لذلك أدرك القائم بأمر الله بأنه أصبح أمام خطر داهم، فأعطى أوامره إلى ميسور بالتحرك، ومغادرة منطقة فاس إلى حيث يوجد موسى،لتأديبه و القضاء عليه، مهما كانت النتائج و التضحيات، بعد ذلك وصل ميسور إلى حيث يخيم موسى و جيوشه الجرارة، فقد كان يتأهب للزحف على تلمسان، و هناك تصدى له ميسور بجيشه، و دارت معارك عنيفة بين الجيشين سجال لعدة أيام ، و تمكن الجيش الفاطمي من إنزال الهزيمة تلوى الأخرى في جيش موسى، بعد أن تفرق عنه معظم أنصاره و أصحابه و انضموا إلى الفاطميين،وانتهت المعركة بانتصار الفاطميين، أما موسى فقد لاذ بالفرار إلى الصحراء، و اختفت آثاره، فهذه الضربة الأخيرة أخمدت صوته و ثورته التي شغلت الدولة الفاطمية عدة سنوات، و كلفتها الكثير من الضحايا و الأموال[3].

ثانيا: ثورة أبي يزيد[4].

في الوقت الذي كانت فيه جيوش الفاطميين تقاتل في المغربين الأوسط والأقصى للإقرار الأمن، برزت ثورة الخوارج بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد، والواضح أنه نتج عن سقوط الدولة الخارجية في تاهرت، فرار أتباع المذهب الإباضي إلى جبل أوراس و قسطيلية، وصحراء ورقلة[5] و سدراتة، و تمكنت السلطات الفاطمية في عهد عبيد الله المهدي من مراقبة تحركاتهم، إلا أنه بعد وفاة

---

[1]- عارف تامر، المرجع السابق، ص20.

[2]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص243.

[3]- عارف تامر، المرجع السابق، ص21.

[4] هو أبو يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيب بن كرمان اليفرني المزناتي، و ينتقي في نسبه مع الكاهنة، وأمه أمة تدعى سبيكة، ولد ببلاد كوكو من أرض السودان حينما كان أبوه يتردد بها للتجارة ثم أتى به إلى توزر و بها نشأ، و لقب بصاحب الحمار لركوبه حمار أشهب أهدي له بمرماجنة من أرض قسطيلية لما أراد القيام بالثورة، أنظر: ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص195.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص28.

عبيد الله المهدي ، أتاحت الفرصة للمناهضين للدولة، بالثورة عليها، فلم تمضي بضعة أشهر على تسلم القائم مقاليد الحكم، حتى ثار الخوارج في ناحية قسطيلية في عام 323هـ/935م، ذلك أن رجلا بربريا من قبيلة بني يفرن الزناتية، يكنى بأبي يزيد، و يعتنق المذهب الخارجي، شرع في بث دعوته علانية ضد النظام الفاطمي الإسماعيلي، و دعا إلى الخروج على الفاطميين وعاونه شيخ نكاري[1] من الإباضيين في توزر يقال له أبو عمار الأعمى[2]، و التفت حوله سائر الخوارج، و بايعوه على قتال الشيعة، و اتفقوا معه على أن يصبح الأمر شورى بينهم، إن هم تمكنوا من الاستيلاء على المهدية و القيروان[3]، فلما علم القائم بقيام هذه الحركة المناهضة، أمر عامله على قسطيلية بالقبض على الثائر، فاعتقل أبو يزيد، و زجّ به في السجن[4]، إلا أن مساعده أبو عمار أخرجه بالقوة، و هرب معه إلى جبل أوراس حيث نزلا عند بني كملان[5] من قبيلة هوارة[6]، و مما لا شك فيه بأنه لم يجد أية صعوبة لإثارة قبائل الأوراس ضد نظام مركزي ليس له عليها أي تأثير فاستطاع بسهولة تحريض أولئك السكان الجبليين[7] المتعودين على حياة التقشف، على نهب مدن إفريقية و بواديها الثرية، و قد أقنعهم بأنهم مدعوون إلى قتال شرذمة من الكفار، و أنهم سيستحوذون على أملاكهم بصورة شرعية، و سيفوزون بنصيب وافر من الغنائم أضف إلى ذلك أنهم سيقومون بمهمة عادلة، حيث أنها ترمي إلى الإطاحة بالمغتصبين الشيعة أعداء

---

[1] - الإباضية النكارية: هم من أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (148-188هـ)، أنظر: مرمول محمد الصالح، المرجع السابق، ص91.

[2] - أبو عمار الأعمى هو ابن عبد الله الحميدي من مقدمي الإباضية مات في حرب دام رحاها، و كانت شديدة بين المنصور العبيدي و أبي يزيد و كان مناصرا ليزيد بن كيداد حيث حاصرهم المنصور في جبل كيانة و هلكوا هناك، أنظر: الصنهاجي، المصدر السابق، ص35.

[3] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص28.

[4] - فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص249.

[5] - بني كملان: بطن من بطون هوارة على مذهب الإباضية يتواجدون بجبل الأوراس، ناصروا مخلد بن كيداد في حربه مع إسماعيل المنصور، أنظر: الصنهاجي، المصدر السابق، ص35.

[6] - هوارة: بطن من بطون البرانس باتفاق النسابة العرب و البربر، وهم من ولد هوار بن لوريغ بن برنس، قيل سميت هوارة لأن المور لما جال البلاد، وقع في المغرب قتل قد تبورنا، و بطونهم كثيرة منهم بن نبه و أوريغ، و مواطنهم من نواحي طرابلس و ما يليها من برقة، و كانوا ظواغن و أهلين،انظر: الصنهاجي، المصدر نفسه، ص54.

[7] -فرحات الدشراوي، المرجع السابق ص249.

الدين الإسلامي الحنيف، و تعويض نظامهم غير المشروع بحكم قوامه الاختيار الحر على أساس إجماع " الجماعة البربرية"، و طبقا لتعاليم المذهب الخارجي[1]، و هكذا فإن الحركة التي يقودها أبو يزيد، بعدما تسلحت بمثل عليا دينية و سياسية و أنعشتها عصبية الكتلة الزناتية المعارضة تقليديا لكتلة الكتاميين من أبناء جبال القبائل، ما لبثت أن جمعت عددا كبيرا من الأتباع الذين يحدوهم ميلهم الطبيعي إلى العنف والشغب و النهب، أكثر من حماسهم الديني.

و كانت السنوات الست أو السبع التي قضاها أبو يزيد في الاستعداد للحرب، كافية لتنظيم جيشه، فانطلقت الثورة في أواخر جمادى الأول سنة 322هـ بتنظيم غارات على باغاية التي تمثل أقرب مدينة محصنة[2]، و اكتفى أبو يزيد في أول الأمر بالهجوم على الممتلكات الواقعة في ضواحي باغاية للحصول على الغنائم، و سرعان ما أفضت جاذبية النهب إلى ارتفاع عدد أتباعه المتمردين، مما شجعه على الزحف على باغاية ذاتها، و قد أوشك على الاستيلاء عليها، إلا أنه فشل بفعل المقاومة المستميتة التي أبدتها الحامية فيها[3].

و أمام هذا الوضع أمر القائم عامله على طبنة، كبون بن تصولا، بالتوجه إلى باغاية لنجدتها، فحاول هذا العامل إثارة الشقاق بين أبي يزيد و أتباعه و كاد أن يقع في كمين نصبوه له، و لم يجد وسيلة للخلاص غير التحصن في مدينة باغاية، أما أبي يزيد فقد تخلى عن حصاره لها، و اجتاح الزاب في عام (332هـ/944م) واستولى على قواعده من تبسة إلى حدود إفريقية، ثم نجح في احتلال مرماجنة، وفي هذه المدينة أهدى إليه رجل من أهلها حمارا أشهب فسمي بصاحب الحمار، و لما رأى تطور الوضع لصالحه، أقر العزم على اقتحام إفريقية في الحال و في حين استولت فرقة من الجيش على سبيبة[4]، زحف أبو يزيد إلى دقة يوم الثلاثاء (13 من ذي الحجة

---

[1]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق ص249.

[2]- عماد الدين ادريس، المصدر السابق، ص264.

[3]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص249.

[4]- سبيبة: ناحية من أعمال إفريقية ثم هي من أعمال القيروان، انظر: ياقوت الحموي، ج3، ص176.

ميسور الفتى فانتصر عليه، و قتل ميسور في المعركة[1]، و أضحت الطريق إلى المهدية مفتوحة أمام قوات أبي يزيد وأوشكت حركته أن تحقق هدفها.

قام أبو يزيد بفرض حصار طويل الأمد على المهدية، لكنه تباطأ في شن هجوم سريع و مباغت عليها، واكتف فقط ببعض المناوشات و الاشتباكات مع القوات المدافعة عن المدينة، و بعدها فقد السيطرة على قواته التي تعودت على القتال من أجل الفوز و الحصول على الغنائم، فتفرقت في البلاد تسلب و تنهب، و بدأ نفوذه يضعف إذ انفض عنه كثير من جنده و انظموا إلى الفاطميين، و لم يبقى معه إلا قلة صغيرة، فأستغل القائم هذه الفرصة و قام بهجوم مضاد، اضطر على إثرها أبي يزيد إلى مغادرة معسكره و عاد إلى القيروان ليعيد تنظيم صفوف قواته، ثم حاول الاستيلاء على المهدية لكنه فشل في ذلك ثم توجه إلى سوسة و حاصرها في جمادى الآخرة سنة 344هـ و ، و في الوقت الذي كان فيه أبو يزيد يحاصر تلك المدينة ، توفي القائم بأمر الله في المهدية في رمضان 334هـ تاركا بذلك الدولة الفاطمية على شفا السقوط بيد الخارجين[2].

المطلب الثالث: العلاقات الخارجية في عهده.

أولا: العلاقة مع مصر.

لم تحقق المحاولتان الفاطميتان للسيطرة على مصر في عهد عبيد الله المهدي شيئا، بل نبهت الخلافة العباسية إلى أن استمرار هذه المحاولات يتطلب وجودا عسكريا في هذا البلد، خاصة بعد اكتشاف أن لهؤلاء الفاطميين أنصارا في مصر، لذلك عين الخليفة العباسي الراضي(322-329هـ)، محمد طغج الإخشيد[3] واليا على

---

[1] عماد الدين إدريس، المصدر السابق، ص ص278-279-280.

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر و بلاد الشام ،المرجع السابق، ص ص124-125-126

[3] محمد طغج الإخشيد: هو أبو بكر محمد بن أبي محمد طغج، و يكنى بعبد الرحمان بن جف بن يلتكين بن فوران بن خاقان الفرغاني الأصل، وكان أبوه طغج ينوب عن خمارويه أحمد بن طولون في ولاية دمشق و الشام، و كان والده محمد المذكور حازما شديد التيقض في حروبه حسن التدبير، مكرما للأجناد، حسن السيرة في الرعية، فلما رأى الخليفة العباسي القاهر بالله ذلك منه ولاه مصر في سنة 323هـ، ولقبه الإخشيد لكونه من ملوك فرغانة.و في عهد المتقي ضم إليه الشام و الحجاز فاتسعت مملكته، وعظم شانه، أنظر: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، المجلة الأولى دار صابر- بيروت، ص56.

مصر بالإضافة إلى ولايته على الشام[1] و لم يكن تعيينه في الواقع سوى عودة إلى النظام الطولوني الذي زال في عام 292هـ[2]. أراد محمد بن طغج أن يستفيد من مركزه في مصر بين الفاطميين الطامعين في الاستيلاء على مصر، و العباسيين الضعاف في المشرق، بتأسيس إمارة وراثية.

كان القائم حريصا على الاستيلاء على مصر، و التعويض عن فشله السابق، و قد سنحت له الظروف الطيبة للقيام بمحاولة تمثلت في:

- حدوث اضطرابات في العاصمة العباسية، فقد حدث في بغداد أن قتل الخليفة المقتدر في عام 320هـ، و خلفه الخليفة القاهر(320-322هـ)، فعادت الأمور إلى ما كانت عليه من الفوضى و الإسراف في النفقات من جانب الحاشية والخدم، و تسلط الجند الأتراك.
- مضايقة الخليفة الراضي للإخشيد، بعد أن أدرك الخارطة حقيقة أهدافه في مصر، فأرسل الوزير جعفر بن الفرات إلى مصر، ليستطلع أحوالها ثم شجع أمير الأمراء محمد ابن رائق [3]على الاصطدام بالإخشيد، فوقعت المعركة بينهما في العريش سنة 328هـ[4].
- حدث في مصر أن ثار على حكم محمد بن طغج الإخشيدي بعض الأمراء فانسحبوا إلى برقة، و دخلوا في طاعة القائم وراحوا يحرضونه على غزو مصر.

في ظل هذه الظروف،وجه القائم في(أواخر عام323هـ) جيوشه المتمركزة في قاعدة برقة، فاحتلت الإسكندرية في (6جمادى الأول 324هـ).

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق ، ج7، ص56.

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام ،المرجع السابق، ص127.

[3] الأمير ابن رائق: هو أبو بكر محمد ابن رائق كان جوادا ممدحا، قدم دمشق و أخرج منها بدر الإخشيدي فأقام أشهر و دخل مصر فالتقى هو و محمد بن طغج الإخشيدي صاحب مصر فهزمه الإخشيد، و رجع و أقام بدمشق ثم توجه إلى الموصل و قتل بها، حيث قتله غلمان الحسن بن حمدان سنة 330هـ، أنظر : الصفدي، المصدر السابق، ج3، ص56.

[4] أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر ، ج4، دار الأندلس- بيروت،ص ص121 130.

فكان رد فعل محمد بن طغج الإخشيد سريعا بأن أرسل جيشا تمكن من إستعادة المدينة[1].

بعد فشل حملة القائم على مصر،رأى أن من الأفضل لتحقيق أهدافه، أن يعيد النظر في سياسته القائمة على القوة، و استبدالها بسياسة ودية اتجاه محمد طغج الإخشيد، إذ أن تدهور السلطة في بغداد منذ مقتل الخليفة العباسي المقتدر، قد ساعد على التقارب بين المهدية و الفسطاط لا سيما و أن حاكم مصر قد نجح في عام (327هـ) في الاستقلال بحكم مصر و بلاد الشام و أسس الدولة الإخشيدية[2].

كان محمد طغج الإخشيدي يخشى أن يخرج على الخلافة العباسية، فقد كان يتطلع دوما إلى أن ينعم بقسط وافر من الاستقلال، وفضلا عن ذلك، فإن من المحتمل أنه كان يكره أن يتخلى على مذهبه السني، و يلقي بنفسه في أحضان الدولة الفاطمية، و لكن عندما لم تنصره الحكومة المركزية في بغداد في عهد الراضي، على ابن رائق أمير واسط و البصرة، الذي كان يحاول آنذاك، الاستيلاء على ممتلكاته، دفعه إلى التفكير من التقرب من الفاطميين. و كان على وشك الدعاء لهم في خطبة الجمعة و قطع صلته بالخليفة العباسي. و دعم هذا التقارب بمشروع زواج ابنته من إسماعيل ابن القائم فأرسل كتابا بهذا الأمر إلى القائم[3]. لكن محمد بن طغج الإخشيدي كان يظن أن القائم سيرسل إليه من الهدايا و الأموال ما يحفزه على ذلك، فلما رأى منه ذلك أوقف مشروع المصاهرة و اتخذ جانب الحياد بين الدولتين، بعد أن أدرك أن البقاء تحت السيادة العباسية يخدم مصلحته، و لعله كان مدفوعا في ذلك بثلاث عوامل هي:

- اضطراب شؤون الدولة الفاطمية في المغرب، و انهماكها بإخماد ثورة القبائل.
- لقد نصحه بعض أتباعه بالعدول عن سياسة التقارب مع الفاطميين.

---

[1]– محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر و بلاد الشام ، المرجع السابق، ص128.

[2]–سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م ، ص361.

[3]– ابن سعيد علي بن موسى المغربي، المغرب في حلى المغرب، الفصل الرابع القسم الخاص بمصر، تحقيق: زاكي محمد حسن، القاهرة، 1953م، ص ص176، 177.

- وضعت وفاة الخليفة العباسي الراضي في (7 شعبان 329هـ)، حدا للتوتر بين بغداد والفسطاط بعدما عينه الخليفة العباسي المتقي (329-333هـ) على رأس الإمارة، فكان يذعن للعباسيين و يداري الفاطميين[1].

ثانيا: العلاقة مع البيزنطيين في جنوب إيطاليا.

استمرت العلاقات العدائية بين الدولة الفاطمية في إفريقية و الدولة البيزنطية، فقد أرسلت بيزنطة في عام (323هـ) أسطولا بحريا إلى غرب المتوسط للتصدي للغارات الفاطمية على جنوب إيطاليا، مما أثار الفاطميين فأرسلوا في شهر رجب أسطولا ضخما بقيادة أمير البحر يعقوب بن إسحاق في اتجاه الشمال الغربي، ليعيد سيادتهم على البحر التيراني، فاستولى في طريقه على بعض السفن التجارية المعادية، و وصل إلى جنوه، فحاصرها و دخلها عنوة، و قتل من كان فيها من المحاربين، و سبى النساء و الأطفال، و أشعل الحرائق في عدة سفن بيزنطية، ثم أغار على سردينيا، و كورسيكا قبل أن يعود إلى المهدية، حيث استقبله القائم بحفاوة بالغة، ثم حدث من الفتن الداخلية في صقلية، التي شجعها البيزنطيون، و من فشل الحملة الفاطمية الثالثة على مصر، ما صرف الفاطميين عن محاربة البيزنطيين[2].

---

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر و بلاد الشام ،المرجع السابق، ص130.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص43.

المبحث الثاني: خلافة المنصور بالله إسماعيل (334-341هـ/946-953م)

المطلب الأول: التعريف به.

ولد المنصور بالله إسماعيل ابن الخليفة القائم بالله بالمهدية في جمادى الأخرة سنة 303هجرية، و قيل ولد بالقيروان سنة 302هجرية، تسلم شؤون الإمامة بعد وفاة أبيه سنة 334 هجرية، و كان سياسيا عظيما و محاربا قديرا و خطيبا من أفصح الخطباء و أبلغهم، و لما توفي القائم كتم المنصور خبر وفاته[1]، و دفنه سرا، و أظهر عليه جلدا و صبرا، لئلا يعلم العدو بذلك فتقوى عزيمته[2]، و أبقى الأمور على حالها فلم يتصف بالخليفة و لا غير السكة و لا بنود الدولة[3]، و قد شبهه البعض بأبي جعفر المنصور العباسي لأن كل منهما اختلت عليه الأمور، و كاد يسل من الخلافة ، وتدارك الوضع و تغلب على الصعاب التي واجهته، و تمكن من الانتصار أخيرا[4] .

و قد توفي إسماعيل المنصور يوم الجمعة 10 شوال 341هـ أو سنة 339هـ وكانت ولايته سبع سنين و سبعة عشر يوما، مرض بإسهال من قرحة كبده، و خلف خمسة ذكور[5].

المطلب الثاني:الأوضاع الداخلية في عهده.

أولا: القضاء على ثورة أبي يزيد.

لم تمضي سوى سبعة أيام على دفن القائم بأمر الله، حتى أخذ ابنه الخليفة المنصور إسماعيل الاستعدادات، اللازمة ليقود بنفسه العلميات الحربية ضد أبي يزيد فتحول يوم 19 شوال 334هـ، إلى دار الصناعة بالمهدية[6] ، و أمر عامله يعقوب بن إسحاق بتجهيز الحملة كما أمر الكتاميين بأن يوافوه بالسلاح و العدة في أقرب وقت[7].

---

[1] – مصطفى غالب، المرجع السابق، ص193.

[2] –عماد الدين إدريس، المصدر السابق، ص343.

[3] –ابن الأثير ، ج6، المصدر السابق، ص 317.

[4] – مزمول محمد الصالح، المرجع السابق، ص90.

[5] – الصنهاجي، المصدر السابق، من ص 81، 82.

[6] – قرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص280.

[7] – عماد الدين إدريس،المصدر السابق، ص ص349–362.

كما جهز حملة أخرى بقيادة كبون بن تصولا، بعد أن عدل عن الخروج بنفسه، بناء على رغبة قادته، و عسكر أفراد الحملتين بالقرب من سوسة، و جرت بين الطرفين رحى معركة ضارية أسفرت عن انتصار القوة الفاطمية، و رجع أبي يزيد منهزما إلى القيروان. و ما إن علم إسماعيل بهذا الانتصار الذي أحرزته قواته في سوسة، حتى قرر الخروج بنفسه من المهدية لمطاردة عدوه، فارتحل إلى سوسة، والتحقت به جماعة من أهل القيروان، يلتمسون عفوه، و أشاروا عليه بالذهاب إلى مدينتهم لتقوية معنويات أنصارهم فيها[1].أدرك أبو يزيد انه يواجه خصما قويا مندفعا، تحدوه روح قتالية عالية، لذلك قام بتغيير خطته العسكرية، و شرع قبل إستئناف الحرب بالإجراءات التالية:

- القيام بغارات استطلاعية على القيروان حيث قتل في إحدى الغارات كبون بن تصولا نتيجة كمين أعده أتباع أبي يزيد، وقد أثرت هذه الحادثة في معنويات القوات الفاطمية[2].
- قام أبي يزيد بإرسال رسالة إلى الخليفة الأموي الناصر في الأندلس يطلب فيها إرسال قوة عسكرية لمساندته، لكن ذلك لم يحصل بسبب هزيمة أبي يزيد في القيروان.
- استأنف بعدها أبو يزيد هجماته على القيروان، فنصب معسكره في قرية حمس[3]، وشرع في الهجوم على المعسكر الفاطمي، جرت بين الطرفين، بعد ذلك عدة معارك كانت معظمها في صالح الفاطميين.

أدرك أبو يزيد بعد هذه السلسلة من المعارك عدم جدوى هجماته على القيروان فتخلى عن محاولة اقتحامها، و أخذ يشن الغارات على مدينتي سوسة و المهدية لاعتراض قوافل التموين الفاطمية، ثم تجدد القتال بين الطرفين يوم الجمعة في 6

---

[1]- أبو على المنصور العزيزي الجودري، سيرة أستاذ جوذر، تحقيق: محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص44

[2]- محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر و بلاد الشام ، المرجع السابق، ص ص136،135.

[3]- حمس: قرية بالمغرب العربي، أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص198.

محرم 335هـ احتدم فيها القتال لمدة أسبوع كامل و سميت تلك المعركة[1]، بوقعة المشاعل و انتهت بانتصار كبير لصالح الفاطميين، وأضفى هذا الانتصار على إسماعيل لقب المنصور بالله، و تخليدا لهذه الذكرى بنى إسماعيل في موضع معسكره مدينة سماها المنصورية[2].

شكلت هذه المعركة بداية النهاية لمسيرة أبي يزيد ذلك أنه فور هزيمته تراجع عن إفريقية، و أخذ يحاول إعادة تنظيم صفوف قواته حول باغاية، تمهيدا لمهاجمتها و الاستيلاء عليها، غير أن إسماعيل المنصور سبقه إليها، ثم استأنف طريقه باتجاه طبنة، ليمنع أبي يزيد من محاصرتها، ثم سار إلى مدينة الزاب الكبرى، و ضلت العملية هكذا كلما حل أبو يزيد في موضع إلا و لحق إسماعيل المنصور في أثره إلى أن بلغ أبا يزيد جبال الحضنة غربي المسيلة[3]، و أخذ ينتظر وصول الجيش الفاطمي، و عبأ كل طرف قواته لملاقاة خصمه في معركة ضارية، لم يحسم فيها القتال بسبب تراجع الطرفين، ثم فر أبو يزيد من أمام المنصور و توغل في الصحراء و عانى جيشه من عملية المطاردة التي تمت في ظروف طبيعية قاسية[4]،ومما زاد من تأزم أمر أبي يزيد انضمام قبائل مغراوة[5]

---

[1] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر ة بلاد الشام ،المرجع السابق، ص137،136.

[2] فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص287.

[3] –عماد الدين إدريس، المصدر السابق، ص ص276، 277.

[4] –فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص296

[5] – مغراوة: هي إحدى قبائل زناتة، السلالة البربرية الأمازيغية، تولت الحكم من الأوراس حتى المحيط الأطلسي بين 286م حتى 1070م، و كانت أول القبائل البربرية اعتناقا للإسلام و ساندوا عقبة بن نافع في حملته للأطلسي في سنة 683م، و أصبحوا من الخوارج في القرن الثامن، و تحالفوا مع الأدارسة، و في القرن العاشر تحالفوا مع أموي الأندلس، ثم انتصروا على حلفاء الفاطميين سنة 924م، إلا أنهم أنفسهم انقلبوا كحلفاء للفاطميين، ثم طردوا بعدها من وسط المغرب الأقصى على يد الزيريين، و في الأخير تمكن المرابطين من هزيمتهم في سنة 1070م، و وضع حد لنهاية حكمهم، أنظر: عمار عمورة، نبين داودة، المرجع السابق، ص105.

و صنهاجة[1] إلى جانب المنصور،ثم عاد أبا يزيد للتحصن في المسيلة، لكن المنصور قطع عليه طريق العودة إليها، و وقعت معركة بين الطرفين في مدينة أدنة عند مدخل المسيلة، مني على إثرها أبي يزيد بهزيمة نكراء، ثم جرت معركة أخرى حول قلعتي شاكر و كيانة في شهر محرم336هـ، أصيب خلالها أبو يزيد بجروح بالغة و قتل صاحبه أبو عمار الأعمى[2] ، ثم في اليوم التالي ألقي القبض على أبو يزيد، فجيء به إلى إسماعيل المنصور الذي أمر بوضعه تحت حراسة مشددة، و معالجة جروحه، و يبدو أنه كان ينوي الإبقاء على حياته و الاحتفاظ به كرمز لانتصاراته، إلا أن الأسير توفي ليلة الخميس في 27 محرم336هـ متأثرا بجروحه[3].

ثانيا: تجدد الاضطرابات في المغرب الأوسط.

في الوقت الذي كان فيه إسماعيل المنصور يستعد للعودة إلى القيروان بعد القضاء على ثورة أبي يزيد، جاءته أنباء مزعجة عن حصول اضطرابات في تاهرت، فقرر اغتنام فرصة وجوده في المنطقة، و الذهاب إليها لإعادة الأمن إلى نصابه. و الجدير بالذكر أن القائد المكناسي حميد بن مصال،حاكم تاهرت السابق تحالف مع الخليفة الأموي في الأندلس، و حاول استعادة المدينة مستغلا الفوضى التي سادت في المنطقة نتيجة ثورة أبو يزيد، فهاجمها و ضرب عليها حصارا مركزا.

خرج إسماعيل المنصور من المسيلة ليلة الثلاثاء (17 صفر336هـ)، ووصل إلى تاهرت يوم الاثنين أول ربيع الأول من نفس السنة، و لما علم القائد المكناسي بوصوله فك الحصار عن تاهرت، وغادر المنطقة باتجاه المغرب، ثم أبحر إلى الأندلس، و لم تسمح أوضاع إسماعيل المنصور العسكرية من مطاردته و التوغل

---

[1] - صنهاجة: إحدى قبائل بربر البرانس و أعظم قبائلها بالمغرب، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى زعم كثير من الناس أنهم ثلث البربر، و تحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي إلى 70منهم، لمتونة و كدالة، و مسوفة، و مسراتة و مداسة و يتو زيلا ...إلخ، و تحت هذه القبائل بطون و أفخاذ تفوق الحصر و كانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان إحداهما: دولة بني زيري بن مناد الصنهاجي بإفريقية، و ورثوا ملكها من الشيعة العبيديين و الأخرى دولة الملثمين بالمغرب الأقصى و الأوسط، أنظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ص03.

[2] - . محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر و بلاد الشام، المرجع السابق، ص139.

[3] -عماد الدين إدريس، المصدر السابق، ص ص280-306

في عمق المغرب الأقصى لبسط نفوذ الفاطميين في تلك الربوع، وذلك بفعل عدة عوامل أهمها:

- ألم به مرض شديد شل حركته، و اضطر إلى البقاء في تاهرت مدة عشرين يوما حتى شفي[1].
- كان جيشه منهكا بفعل الحروب المتواصلة مع أبي يزيد.
- جهز حملة اتجهت إلى الجنوب لقمع حركة مناهضة لحكمه قامت في لواتة، فوجد الثائرين قد هربوا إلى الرمال و البراري المتصلة بأرض السودان الغربي[2].

أقام الجيش الفاطمي في أوانة زهاء اثني عشر يوما قبل أن يعود إسماعيل المنصور إلى إفريقية حيث وصل إلى المنصورية يوم الخميس في 27 جمادى الثانية 336 هـ، بعد أن قضى زهاء سنة و شهرين و سبعة عشرين يوما في حملة عسكرية طويلة الأمد و مشهورة[3].

المطلب الثالث: العلاقات الخارجية : أولا : العلاقة مع الخلافة العباسية :

لم يحدث في عهد المنصور إسماعيل أي تغيير في صورة العلاقات مع مصر، لكن لم يقم الفاطميون، بأي عمل عسكري ضد هذه البلاد، إلا أن إسماعيل المنصور لم يهمل أمر انتشار الدعوة في المشرق، لذلك استقبل مبعوثا من أنصاره قدم من بغداد لإعلامه بنشاط دعاته بخاصة محمد بن علي، وقد كان يتابع بكل اهتمام الوضع السائد في الخلافة العباسية، و الجدير بالذكر أن الوضع الداخلي لهذه الأخيرة قد ازداد تدهورا خاصة مع تدخل البويهيين[4]، حيث أضحى الخليفة العباسي المطيع (334-363هـ) تحت نفوذ هذه الأسرة التي استأثر زعمائها باختصاصات الخلفاء، أما

---

[1] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر و بلاد الشام ،المرجع السابق، ص241.

[2] – عماد الدين إدريس، المصدر السابق، ص466.

[3] – ، المصدر نفسه، ص ص 313 316.

[4] –البويهيين: بنو بويه سلالة من الديلم (جنوب بحر الخزر)، حكمت في غرب إيران و العراق سنوات (333-447هـ/932-1056م)، يرجع نسبهم إلى ملوك الفرس الساسانية و هم من الشيعة الاثناعشرية دخولوا بغداد سنة 1050م، ثم قضى عليهم السلاجقة سنة:447هـ أنظر: أنور محمود الزناتي، موسوعة تاريخ العالم (تاريخ العرب و المسلمين)، ج2، ص ص 354، 355.

فيما يتعلق بالعلاقة بين الفاطميين و البويهيين، فإنه لم تجري أية اتصالات بين الجانبين، و سوف يدخل الفاطميين فيما بعد[1]، في نزاع سياسي مع أولئك الشيعة الزيديين، الذين كانوا يرون أنه ليس من مصلحتهم تعويض خلافة ضعيفة مثل الدولة العباسية بخلافة قوية ستفلت لا محال من قبضتهم ألا وهي الدولة الفاطمية.

ثانيا: العلاقة مع القرامطة (في اليمن و البحرين).

استطاع إسماعيل المنصور أن يعيد إلى الإمامة شيئا من الأهمية التي فقدتها لدى أتباعه القرامطة في اليمن بعد التدهور الذي شهده نفوذ الفاطميين في هذا البلد، إذ حدث بعد مقتل أبي الحسن بن حوشب أن طمع نائبه إبراهيم بن عبد الحميد في أن يتقلد ما كان عليه من البلاد، فأعلن ارتداده عن المذهب الإسماعيلي، و أقام الخطبة لبني العباس، و سعى إلى إخماد الدعوة الإسماعيلية،و لم يزل يتتبع الإسماعيليين ويقتلهم حتى قضى على الكثيرين منهم، و ما لبث أن اجتمع شمل الفريق الذي نجا من هذا الاضطهاد تحت زعامة ابن طفيل، و لما علم إبراهيم بن عبد الحميد بذلك، طاردهم و قتل ابن طفيل فتفرق أتباعه، و قصدت جماعة منهم نواحي عمان، اتخذت الطائفة الإسماعيلية في اليمن، بعد مقتل ابن طفيل، ابن رحيم رئيسا لها و كان كثير التنقل خوفا من تعقب السنيين له، كما كان على اتصال دائم بالمهدية

أما في البحرين، فقد شهدت الحركة القرمطية، هناك انقساما حادا بعد وفاة أبي طاهر الجنابي في عام (332هـ/944م)، حين عين القائم الفاطمي أخاه أحمد على رأس الحركة القرمطية بانتظار بلوغ سابور بن أبي طاهر السن القانونية لخلافته[2]. و قد حاول أحمد أن يتخلص من ابن أخيه لينفرد في المستقبل بزعامة الحركة. وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة الفاطمية في إفريقية تواجه خطر ثورة الخوارج، انقسم القرامطة إلى قسمين، ضم القسم الأول أنصار الإمامة الفاطمية الملتفين حول سابور،

---

[1]- محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر و بلاد الشام ، المرجع السابق، ص 142

[2]- برنارد لويس، المرجع السابق،ص ص132-134.

وضم القسم الثاني الفئة المناهضة للفاطميين بزعامة أحمد الذي نادى بالتقارب مع العباسيين، وبالتحديد مع بني بويه المسيطرين على مقدرات الخلافة العباسية[1].

حرص إسماعيل المنصور عل تجنب تشتت الحركة، والسهر على فرض سلطته الروحية على أحمد وجماعته في الأحساء[2]. والجدير بالذكر أن أحمد أعاد الحجر الأسود إلى مكة في عام(339هـ/951م) إلا أن النزعة المناهضة للفاطميين ظلت هي السائدة، ودخلت في نزاع ساقر معهم منذ أن خلف الحسن بن محمد الأعصم أباه أحمد[3].

ثالثا : العلاقة مع البيزنطيين.

لما تولى المنصور الخلافة كانت صقلية في حالة فوضى عارمة، فمنذ عودة خليل بن إسحاق[4] إلى المهدية سنة 329هـ، اتضح عجز خليفته عطاف عن حفظ الأمن في الجزيرة، و أصبح المسلمون في وضع حرج، إلى درجة أن النصارى قد رفضوا دفع الجزية التي حددت أثناء الهدنة، دون التعرض لأي ردع. ثم ساعدت ثورة أبي يزيد على تفاقم الوضع في الجزيرة، حتى أصبح اهلها "يأخذون كل سفينة غصبا، و يكثرون إظهار السلاح في المساجد، و لا يتناهون عن منكر فعلوه"[5].

و قد انتشرت الفوضى إلى حد أن أكبر العائلات التابعة "للجماعة" أمثال بني الطبري، و بني ماضوض، و بني رجاء بن أخي جانة، و بني عبدون، لم تعد تخشى شق عصى الطاعة علانية. بل أقدم بنو الطبري يوم عيد الفطر سنة 335هـ على

---

[1] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر وبلاد الشام، المرجع السابق، ص 143.

[2] – الأحساء: مدينة في البحرين معروفة مشهورة، كان أول من عمرها و حصنها و جعلها قصبة هجر،أبو طاهر الجنابي القرمطي، أنظر: ياقوت الحموي، ج1، المصدر السابق، ص112.

[3] – ميكال بان دي غويه، القرامطة نشأتهم، دولتهم وعلاقتهم بالفاطميين، ترجمة وتحقيق حسين زينة، دار ابن خلدون–، بيروت،ط2، 1980، ص 251.

[4] – خليل ابن إسحاق: ولد بطرابلس، و هو من أبناء جندها، وكان في أول أمره يطلب العلم و الأدب، و يصحب الصوفية، إلى أن خالف أهل طرابلس بلده سنة 299هـ فكان هو المتولي لعذابهم و أخذ أموالهم، وذلك في دولة عبيد الله، و اتبع القائم في مسيرته إلى محاربة أهل مصر، فخلفه على الإسكندرية، ثم تولى صقلية سنة 325هـ، ثم عاد إلى القيروان، وخرج لقتال جيش أبي يزيد، لكنه انهزم شر هزيمة، وكانت هذه المعركة هي التي وضعت نهاية لمسيرته، أنظر: ابن الأبار، المصدر السابق، ص307.

[5] – سيرة جوذر، المصدر السابق، ص ص70،71.

المبحث الثالث: خلافة المعز لدين الله (341-362هـ/953-973م).

المطلب الأول: التعريف بشخصية المعز.

هو معد بن تميم ولد بالمهدية يوم الاثنين في(رمضان سنة 319هـ)[1]، تسلم الخلافة سنة 342هـ عندما كان له من العمر ثلاثة و عشرون عاما...، أدرك ثلاثة من الخلفاء الفاطميين هم: المهدي، القائم و المنصور، تربى في قصور المهدية، و نال الثقافة و العلم في جزيرة صقلية، حيث ذكر بأنه يجيد و يتكلم عشر لغات منها: الرومية، اللاتينية، الصقلبية، السودانية و حتى لغة البربر و لهجاتها، أنجب أربعة أولاد هم: تميم (الشاعر)، عبد الله، العزيز و عقيل، و ابنتين هن: رشيدة و عبدة...وزوجته تدعى تغريد[2]. و يذكر التاريخ أن المعز كان من كبار الرجال الذين تفوقوا في مضمار العلم والحرب و السياسة، فقد بدت عليه أمارات النجابة و الذكاء منذ نعومة أضافره،واشتهر بالذكاء و هو بعد في سن الطفولة، كما كان المثل الأعلى للخلفاء المسلمين عامة، قوي العزيمة يواجه الصعاب دونما خوف أو وجل، كما كان رحب الصدر طيب القلب، كثير الحلم، يعطف على رعيته، اشتهر بالعدل و الإحسان إلى الناس،ومقاومة الظلم، و التمسك بمبادئ الدين، و كان يحرص على تلبية مطالب الرعية، وحاجات الشعب، الذي أحبه و أطاعه، و سلمه أمره، و قيادته، و أصبح اسمه على كل شفة و لسان[3].

رحل المعز من المغرب إلى مصر سنة 361هـ ،و ذلك بعد مضي أربعة سنوات على احتلالها[4] من قبل قائده المضفر جوهر الصقلي[5]. توفي المعز في القاهرة في (11 ربيع الآخر365هـ/18 ديسمبر975م)، بعد أن حكم 24 سنة

---

[1] – الصنهاجي، المصدر السابق، ص83

[2] – عارف تامر، المعز لدين الله الفاطمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982، من ص67،68.

[3] – عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج 2، المرجع السابق،ج2، ص59.

[4] –عارف تامر، المعز لدين الله الفاطمي، المرجع السابق، ص68.

[5] – جوهر الصقلي: ولد جوهر الصقلي عام 928م، كان مملوكا من أصل كرواتي من إقليم باجانيا، الذي كان يخضع للإمبراطورية الكرواتية، أسر أثناء الحرب بين كرواتيا و فنيسيا، و باعه تجار نورمانديون كعبد في صقلية التي ينتسب اسمه إليها، و بعد عدة سنوات باعه تجار رقيق إلى الخليفة المنصور بالله الفاطمي، ثم أصبح بعد ذلك قائدا للقوات الفاطمية في عهد المعز لدين الله، الذي أعتقه وجعله من المقربين إلى البلاط الفاطمي، ثم سرعان ما أثبت جوهر كفاءته بأن ضم مصر التي كانت بحوزة الإخشيديين ، لسلطان ن، الفاطميين، أنشأ مدينته القاهرة عام969م، أنظر: عمار عمورة، نبيل داودة، المرجع السابق، ص156.

المطلب الثاني: الأوضاع الداخلية في عهده

أولا: إخضاع الهواريين.

كان أول عمل قام به المعز هو إعادة بسط سلطة الدولة على جبل الأوراس معقل الهواريين، الذين ساندوا ثورة أبي يزيد، فخرجت الجيوش الفاطمية في (أواخر سنة341هـ/أوائل سنة 953م)، من المنصورية بقيادة المعز نفسه، وصلت الأربس فانفصلت قوة عسكرية بقيادة بلكين بن زيري الصنهاجي[1]،ثم اجتاحت قبيلتي بني كملان، و مليلة المعتصمتين بجبل غزالة جنوب باغاية، و فرقهم ثم نصب المعز معسكره في ذلك الحصن، و انطلاقا منه، أخذ جنوده يجوبون أطراف الأوراس وتمكنوا من إخضاع القبائل المتمردة، ثم في آخر المطاف استسلم الهواريون، حيث قرر رئيس مغراوة الدخول بدوره في طاعة الخليفة الفاطمي.

ابتهج المعز بهذا الانتصار الأول، و عاد إلى المنصورية، و عين خادمه قيصر وكلفه بمواصلة تثبيت الأمن في جبل الأوراس، و قد قام هذا القائد بتلك المهمة على أحسن وجه ممكن. و ما لبث رؤساء هوارة و زناتة أن استسلموا إليه، فتنقلوا إلى المنصورية حيث استقبلوا استقبالا لائقا[2].

و أسفرت الحملة على الأوراس التي جرت بثبات في الوقت المناسب، عن نتائج طيبة، فقد رفعت تلك الحملة من شأن الخليفة الفاطمي الشاب، سواء في أعين أهل إفريقية، أوفي أعين البربر في المغرب[3].

ثانيا: إخضاع المغربين الأوسط و الأقصى.

الواضح أن الحملة الفاطمية على الأوراس كانت خطوة تمهيدية للقيام بعمليات عسكرية واسعة النطاق لبسط سيطرة المعز في نواحي المغرب الأقصى، و انتهاج سياسة توسعية غرب مملكته على حساب الأمويين، حتى لا تفقد الدولة الفاطمية

---

[1] – أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي استخلفه المعز لدين الله الفاطمي على إفريقية عند توجهه إلى الديار المصرية، وكان استخلافه إياها سنة 361هـ، و أمر الناس بالسمع و الطاعة له، و سلم إليه البلاد وخرجت العمال و جباة الأموال بإسمه، وأوصاه المعز بأمور كثيرة، و أكد عليه فعلها توفي عام 373هـ، و هو مؤسس الدولة الزيرية، أنظر: عمار عمورة، نبيل داودة، المرجع السابق، ص107.

[2] – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص332.

[3] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر و بلاد الشام ، المرجع السابق، ص151.

هيبتها في الأقاليم الغربية في الزاب و تاهرت، و في المناطق المجاورة لمناطق النفوذ الأموي الأندلسي[1].

وحتى يدعم الفاطميون وجودهم في هذه المناطق، قام المعز بالتقرب من الصنهاجيين، فاستقبل رئيسهم زيري بن مناد[2] في المنصورية، و أغدق عليهم النعم ثم و كلفه بمهمة حكم المناطق الشاسعة الممتدة من تخوم الزاب إلى حدود تاهرت باسمه، فضمن بذلك ولاء هذه القبيلة البربرية المقيمة في المغرب الأوسط.

دعا المعز المتطوعين للجهاد و الانضمام إلى جيشه مدركا في الوقت نفسه، بعد المغرب الأقصى، و ارتفاع جباله و وعورة مسالكه، فلبى شبان كتامة النداء مظهرين حماسا بالغا، فابتهج بإقبالهم على خدمته، و حسن سلوكهم، و دخلوا عليه قبل انطلاقهم، فألقى فيهم كلمة تدل على مدى تصميمه على بسط سلطانه على الأراضي الواقعة غرب مملكته، ثم انطلقت الحملة بقيادة جوهر الصقلي في عام (337هـ/958م) في اتجاه تاهرت للانتقام من وليها يعلى بن محمد اليفرني، الذي خلع طاعة الفاطميين، و انضم إلى الأمويين في الأندلس[3].

و يبدو أن هذا الوالي خشي من دخول جوهر الصقلي إلى المنطقة التي يشرف عليها، فرأى من الأفضل العودة إلى الحضيرة الفاطمية، و استقبال القائد الفاطمي بما يستحق من حفاوة، إلا أن التعليمات التي كانت بحوزة جوهر تقضي بالتخلص من يعلى، لذلك قبض عليه، وعلى أولاده و هدم حاضرة ولايته، و إعادة السلطة الفاطمية إلى سابق عهدها في المغرب الأوسط[4].

---

[1] – محمد سهيل طقوش،تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، المرجع السابق، ص151.

[2] – الأمير زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، جد المعز بن باديس، يعد أول من ملك من بيت صنهاجة، و كانت مدة ملكه 26 سنة، بنى خلالها مدينة أشير و حصنها، كان حسن السيرة، تام السياسة، شجاعا صارما، و كانت بينه و بين جعفر بن علي الأندلسي ضغائن و أحقاد أفضت إلى الحرب بينهما، قتل على إثرها زيري سنة 360هـ، أنظر:عمار عمورة، نبيل داودة، المرجع السابق، ص104.

[3] – القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1997،ص ص200، 206 233.

[4] – القاضي النعمان،المصدر السابق،ص ص199-251.

ترك جوهر الصقلي المغرب الأوسط بعد أن ولى عليه زيري بن مناد الصنهاجي، و واصل طريقه باتجاه فاس، و كان يحكمها أحمد بن بكر بن سهل الجذامي الذي اعترف بالحماية الأموية، و تصدى للقوات الفاطمية، مما أجبر جوهر الصقلي على فك الحصار عن المدينة، فعاد إلى تافيلالت[1] ليهاجم سجلماسة عاصمة محمد بن الفتح بن واسول، الذي ، كان بمثابة شوكة في حاضرة الفاطميين بحيث رأو بأن نفوذهم لن يستقر في هذه البلاد مع وجود حكام ذوى نفوذ كبير كمحمد بن الفتح. وفور اقتراب الجيوش الفاطمية من المدينة فضل محمد بن الفتح الفرار من أمامها، خوفا من الحشود الفاطمية الضخمة حيث لم يكن باستطاعته الوقوف في وجهها أو صدها، لكن سكان المدينة الذين كانوا يميلون إلى الحكم الفاطمي منعوه من الخروج، ثم قبضوا عليه وسلموه إلى جوهر الصقلي الذي دخل سجلماسة دون قتال[2].

ثم عاد جوهر الصقلي بعدها إلى فاس للاستيلاء عليها، ففرض عليها حصارا ثم دخلها عنوة في (20رمضان348هـ/21سبتمبر959م)، بعد أن أسر صاحب المدينة أحمد بن بكر وعددا كبيرا من الأمراء الأدراسة[3]، و ما لبثت بقية المدن الكبرى في شمال المغرب الأقصى أن استسلمت لجوهر الصقلي باستثناء الثغرين طنجة وسبتة، اللتين كانتا بحوزة الدولة الأموية بالأندلس و بالرغم من كل هذا النجاح الذي حققه جوهر الصقلي فإنه اكتفى بهذا الحد من الفتح، و لم يغامر في الاستيلاء على الثغرين الأمويين، و الانطلاق بعد ذلك نحو الأندلس بسبب ضعف إمكاناته المادية والعسكرية، و فضل العودة إلى إفريقية قبل (نهاية عام 348هـ/960م)مصطحبا معه مجموعة كبيرة من الأسرى في مقدمتهم عدد كبير من الأمراء الأدارسة وصاحبا فاس وسجلماسة[4].

---

[1] - تافيلالت: إقليم من المغرب الأقصى في الجنوب الشرقي من جبال درن الأطلسية خصب الأراضي، و بين تافيلالت و مراكش والجزائر و السودان تجارة مهمة الآن، اختطها عيسى بن يزيد الأسود كعاصمة لبني مدرار سنة140هـ، أنظر: محمد أمين واصف، المرجع السابق ص66.

[2] – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص344.

[3] –القاضي النعمان،المجالس و المسايرات ، المصدر السابق ،ص242.

[4] - المصدر نفسه، ص ص445، 446.

المطلب الثاني: العلاقات الخارجية في عهد المعز.

أولا: العلاقات الفاطمية-الأموية.

من المعروف أن عداء الأمويين للفاطميين لم ينقطع منذ قيام دولة هؤلاء في شمال إفريقية، ففي عهد عبيد الله المهدي ثاروا، و شجعوا الحركات في كل مكان من المغرب ضده، كما شجعوا ثورة الخوارج التي قادها أبي يزيد و أمدوها بالمال والسلاح، و ذلك في عهد القائم بأمر الله، وابنه المنصور بالله، كما أن الناصر الأموي شجع موسى ابن أبي العافية على انتزاع أجزاء المغرب الأقصى من الأدارسة لأنهم شيعة، و كان قواد الثورات المعادية للفاطميين، عندما يتضايقون منهم، لا يجدون لهم ملجأ سوى قرطبة حيث يلاقون كل ترحيب و رعاية من الأمويين، بل أن الأمر أكثر من ذلك و هو أن الأمويين أعادوا في الأندلس لعن الفاطميين و آل البيت على منابر المساجد، كما فعل آباؤهم في دمشق من قبل، و هكذا فإنهم ضربوا الرقم القياسي بانحطاط الأخلاق و سوء التربية و انخفاض الشرف[1].

لم تذكر مصادر التاريخ أية مواجهة بين الفاطميين والأمويين إلا مرة واحدة، ويبدو أن العنف الذي قابل به الفاطميون تعديات الأمويين جعل هؤلاء يحسبون للأمر حسابه، ويتجنبون أية مصادمة قد تعرضهم لهزائم أشد وأدهى. ومما تجدر الإشارة إليه... أن إحدى السفن الأموية هاجمت سفينة فاطمية في البحر على مقربة من صقلية[2] كانت تحمل رسولا من قبل الحسن بن علي الكلبي والي هذه الجزيرة وأغرقها. ومع أن هذا الحادث ليس مهما أو خطيرا في حد ذاته، إلا أن المعز رأى أن يبرهن لعبد الرحمن الناصر الأموي علي مدى قوته البحرية، فأمد واليه على صقلية بأسطول ليلحق بالسفينة الأموية، فلما وصل ألمرية[3] هاجم مرساها ثم دخلوا المدينة وعاثوا فيها نهبا وفسادا، وعادوا بعد ذلك إلى المهدية[4].

---

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص81.

[2] محمد جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 1973،ص ص220، 221.

[3]- ألمرية: مدينة بالأندلس على ساحل البحر الرومي، و كانت قاعدة الأسطول الإسلامي،انظر: محمد ناصف بيك، المرجع السابق، ص107.

[4]- القاضي النعمان،المجالس والمسايرات، المصدر السابق،ص ص267، 268.

كان لذلك الهجوم المفاجئ، الذي قام به الأسطول الفاطمي أثر بالغ في نفس عبد الرحمان الناصر، حيث طلب في العام الثاني(أي سنة345هـ) من قائد أسطوله غالب بتجريد حملة بحرية كبيرة، يتجه بها إلى ساحل شمال إفريقيا، و تهاجم مدينة سوسة، و قد هاجم هذا الأسطول مرسى الخزر، و دمر كل منطقة سوسة[1].

لم تؤدي هذه الحملة إلا إضعاف نشاط الفاطميين الحربي في حوض البحر المتوسط، بل زادت من حدة الصراع بينهم، و بين الأمويين في الأندلس، فأمر المعز لدين الله الفاطمي، ردا على هذه الغارة، بأن يكون العساكر في كل مرسى بطريق الأندلس، و لذلك فإن الأسطول الأموي الأندلسي، لم يستطع تحقيق ما كان يرمي إليه، إذ خرج إليه أهل تلك الناحية، فقتلوا منهم عددا كثيرا من أفراد قواتهم و أوقعوا بهم الهزيمة، و غنموا ما كان معهم من سلاح و بعثوا بغنائمهم إلى الخليفة المعز لدين الله[2].

كل هذا جعل الأمويين بعد المعركة يبادرون إلى عقد معاهدة مع الروم(البيزنطيين) كان من بنودها اشتراك الأسطولين البيزنطي و الأموي في دوريات مشتركة للوقوف بوجه التحركات البحرية الفاطمية، لكن حدث في إحدى المعارك البحرية أن هزم الأسطول البيزنطي أمام قوة البحرية الفاطمية، و عندما رأى الناصر الأموي هزيمة الروم، و ما حل بهم من نكبات بعث رسولا من قبله إلى الخليفة الفاطمي يطلب منه المهادنة، و كف الحرب بينهما لكن قبل هذا الطلب بالرفض من قبل المعز [3]. و مهما يكن من أمر...فإن المعز لم يدخل في حساباته محاربة الأمويين في الأندلس لأن خطته كانت ترمي إلى احتلال مصر والالتفات إلى الشرق حيث بغداد.

---

[1] – ابن عذارى، المصدر السابق،ج2، ص218.

[2] – صابر محمد دياب، سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني هجري حتى نهاية العصر الفاطمي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1973، ص ص118، 119.

[3] – القاضي النعمان، المجالس و المسايرات ، المصدر السابق،ص ص268، 269

ثانيا : الصراع الفاطمي البيزنطي حول كريت و صقلية.

سبق الإشارة إلى ما أصاب الحملة البيزنطية التي توجهت في عام (338هـ/949م) لمهاجمة جزيرة كريت، من هزيمة ساحقة، و ما ترتب عليها من سيطرة المسلمين على طرق الملاحة و التجارة في بحر الأرخبيل.

فجهز الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني (348-352هـ/959-963م) أسطولا ضخما يتألف من 2000سفينة أسند قيادة هذا الأسطول إلى الحاجب ميخائيل[1]. أقلع هذا الأسطول باتجاه جزيرة كريت التي وصلها في شهر جمادى الثانية 349هـ، و استعد أفراده للنزول إلى البر، ثم تولى باستيلاس قيادة قوة استطلاعية توغلت في عمق الجزيرة، غير أن المسلمين باغتوا هذه القوة، و أبادوها عن آخرها، و لقي باستيلاس فيها مصرعه، ثم قام البيزنطيون بعدها بتشديد الخناق على العاصمة شنداكس مما اضطر بالمسلمين المحاصرين في هذه الجزيرة، بطلب النجدة من الخلافة العباسية في بغداد، و من سيف الدولة الحمداني[2]، و من ولاة مصر الإخشيديين[3]. لكن أحد من هؤلاء جميعا لم يسارع إلى نجدتهم، لذلك لم يكن هناك بد من اتجاههم إلى الفاطميين بالمغرب، فأرسلوا إلى المعز لدين الله في المنصورية يطلبون منه المساعدة و النجدة، فقبل المعز طلب هؤلاء المسلمين و جرت تنسيقات بين المعز و الإخشيديين على تقديم المساعدة لأهل الجزيرة[4]، و خلال المدة التي كان فيها المعز يقوم بالتنسيق مع الإخشيديين، استطاع البيزنطيون اقتحام العاصمة شنداكس في (15 محرم350هـ)، و أجروا فيها مذبحة مروعة، وعند سماع المعز

---

[1] -لويس أرشيبلد، القوى البحرية و التجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى و محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية،ص ص295، 296.

[2] – سيف الدولة الحمداني: ولد سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدون التغلبي في (303هـ/915 م) في مدينة ميافارقين أشهر مدن ديار بكر، على إثر تولي أبيه إمارة الموصل، و قد عنى أبوه بتعليمه و تنشأته على الفروسية منذ صغره، وأظهر سيف الدولة استعدادا كبيرا، و مهارة فائقة في القنص و الرمي و ركوب الخيل، و خاض العديد من المعارك الطاغية ضد أعداء الدولة والمتمردين عليها سواء في الداخل أو في الخارج، حيث استطاع أن يحقق انتصارا عظيما على البريديين الذين اقتحموا بغداد عام (330هـ/942 م)، و دفعوا الخليفة العباسي إلى الخروج عنها و اللجوء إلى الحمدانيين، فاضطر سيف الدولة من أن يؤدب هؤلاء البريديين و أوقع بهم الهزيمة، فكان على الخليفة إلا أن يضفي لقب سيف الدولة عليه، و أمر أن تضرب بإسمه الدنانير والدراهم، أنظر: أنور محمود الزناتي، المرجع السابق، ص ص349، 350.

[3] – صابر محمد ذياب، المرجع السابق، ص132.

[4] –القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص ص 421، 422.

بهذه المجزرة وبسقوط المدينة بيد البزنطيين عدل عن رغبته في إرسال أسطوله لتقديم المساعدة لأهل تلك الجزيرة[1].

تحول الصراع بين الفاطميين و البيزنطيين من جزيرة كريت إلى صقلية، ففي الوقت الذي كانت فيه الحرب قائمة بين الفاطميين و الأمويين، قام الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع بإرسال حملة بحرية بقيادة باسيل، رست في ميناء رجيو و ذلك في أوائل عام (345هـ/956م)، و انطلقت منها لشن غارات ناجحة على المواقع الإسلامية الفاطمية، لكن سرعان ما قدم أسطول فاطمي بقيادة علي بن عمار الكلبي، فشرع في القيام بهجوم على البيزنطيين تمكن من إخراجهم من المناطق التي احتلوها سابقاو نتيجة لهذه الهزائم،التي تعرض لها البيزنطيون في صقلية. اضطر الإمبراطور البيزنطي إلى طلب الصلح والهدنة مع الفاطميين اعترفت بموجبه بيزنطة بالوصاية الفاطمية على مقاطعة كالابريا التابعة لها[2].

حافظت العلاقات بين الفاطميين و البيزنطيين على صفائها حتى عام (349هـ/960م)حين قام الإمبراطور رومانوس الثاني بتجهيز حملة عسكرية للهجوم على جزيرة كريت، و انتهى باحتلالها ، و بذلك نقض الاتفاق المبرم بين الفاطميين والبيزنطيين[3].

كان رد فعل المعز اتجاه هذه الأحداث بأن سيّر حملة عسكرية في عام (351هـ/962م) بقيادة أحمد بن الحسن الكلبي، إلى أحد القلاع بالجزيرة (قلعة طرمين)، و التي كانت بيد البيزنطيين ففرض عليها الحصار ثم دخلها في شهر ذي القعدة 351هـ، اشتد تأثر البيزنطيين بما حل بطرمين من كوارث، فأرسلوا حملة أخرى إلى صقلية بقيادة البطريق مانويل، قصد استعادة الجزيرة من يد الفاطميين[4]، وصلت هذه الحملة إلى مسينا، و منها بدأت تتوسع في شمال الجزيرة،إلى أن التقى الطرفان البيزنطي و الفاطمي في معركة ضارية أسفرت عن انتصار الفاطميين،

---

[1] – عماد الدين إدريس، المصدر السابق، ص126.

[2] – ابن الأثير ، المصدر السابق، ج7، ص217.

[3] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام ، المرجع السابق،ص 169

[4] - فرحات الدشراوي، المرجع السابق،ص 359.

و قتل في المعركة القائد البيزنطي مانويل، ثم حينما اضطر الأسطول البيزنطي بالعودة إلى القسطنطينية، هاجمه اسطول فاطمي مرة أخرى بالقرب من مضيق ميسينا، و انتصر عليه، و غنم الفاطميون غنائم وفيرة[1]، ودعيت هذه المعركة بوقعة المجاز[2].

و نتيجة لهذه المعركة اضطر البيزنطيون إلى توقيع هدنة مع الفاطميون في عام (354هـ/965م)، و التي تحولت بعد مرور السنين إلى صلح نهائي جرت فيه مراعاة مصالح الجانبين.

تفرغ المعز بعد عقد الصلح مع البزنطيين إلى التركيز على مصر، إذ لم يعد يخشى خطر هجوم البيزنطيين على بلاده في شمال إفريقيا،كما أنه حقق الهدوء والولاء للفاطميين فأرسل جيشا ضخما إلى مصر للاستيلاء عليها[3].

ثالثا: انتقال الفاطميين إلى مصر.

سبقت الإشارة إلى اهتمام الفاطميين بامتلاك مصر منذ بداية قيام دولتهم بالمغرب، لما تمتاز به من موقع جغرافي فريد في قلب العالم العربي، يتيح لهم فرصة الاستيلاء على المراكز الإسلامية القديمة مثل مكة و المدينة و دمشق بل وبغداد نفسها حاضرة الخلافة العباسية المعادية لهم.

و لقد بدأت حملات الفاطميين على حدود مصر الغربية منذ أيام خليفتهم الأول عبيد الله المهدي، و يلاحظ أن هذا الغزو يعتبر فريدا من نوعه، لأن مصر كانت دائما تغزى من الشرق، و لم يسبق أن فتحت مصر من حدودها الغربية إلا في أيام الفراعنة حينما غزاها الليبيون قديما أيام الأسرتين 22و23 [4].

---

[1] – القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص155.

[2] – المجاز: يقصد بالمجاز مجاز مسينا الفاصل بين صقلية و مقاطعة كالابريا في جنوب إيطاليا، أنظر محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 192.

[3] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية و مصر وبلاد الشام، المرجع نفسه،ص 172.

[4] – أحمد مختار العبادي، التاريخ العباسي و الفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ص247.

أرسل الفاطميون ثلاث حملات لغزو مصر، الأولى سنة 301هـ و الثانية سنة307 هـ، و الثالثة سنة322هـ، لكن هذه الحملات باءت كلها بالفشل[1].لأن الخلافة العباسية في ذلك الوقت كانت من القوة، بحيث استطاعت أن تصد تلك الحملات، وقد صد الحملة الأولى و الثانية مؤنس الخادم[2]، قائد الخليفة العباسي المقتدر، و صد الحملة الثالثة القائد التركي العباسي محمد بن طغج الإخشيد، أول أمراء الدولة الإخشيدية في مصر[3].

ثم انشغل الفاطميون بعد ذلك عن غزو مصر، أيام الخليفتين القائم و المنصور بسبب الثورة الداخلية التي قام بها أبو يزيد الخارجي و أتباعه، و إن كان هذا لم يحل دون قيام الفاطميين بمحاولات دبلوماسية في هذا السبيل، فالمعروف أن الخليفة القائم اتصل بمحمد الإخشيد أكثر من مرة محاولا استمالته إليه ضد العباسيين، إلا أن الإخشيد عاد و عدل عن ذلك خوفا من مركزها السياسي في مصر[4]. وفي عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، قام الفاطميون بمحاولة رابعة ناجحة لغزو مصر بقيادة قائدهم جوهر الصقلي[5].

و كانت مصر بعد وفاة حاكمها كافور[6] الإخشيدي سنة 357هـ تعاني من أزمات سياسية و اقتصادية شديدة، إذ لم يكن بها حاكم قوي يستطيع أن يقبض على زمام الأمور بها. أما الخلافة العباسية التي استطاعت من قبل صد الحملات الفاطمية

---

1 – أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص277.

2 – مؤنس الخادم القائد العباسي الطائر الصيت، و قد سماه ابن حماد مؤنس الخادم الذي يحرف بالفحل، و يدعى المظفر، كان من قواد الخليفة المقتدر، وأوقع بالروم سنة 302هـ، و أسر منهم 150 بطريقا، وتوفي مؤنس الخادم في سنة 321هـ، أنظر ابن الأبار المصدر السابق، ص265، محمد حجي موسوعة أعلام المغرب، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص240.

3 – سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص255.

4 – محمد جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، المرجع السابق،ص 62.

5 – ابن خلكان، المصدر السابق، ص547.

6 – هو أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي، كان عبدا لبعض أهل مصر، ثم اشتراه أبو بكر محمد بن طغج الإخشيدي في سنة 312هـ بمصر من محمود بن عباس و ترقى عنده إلى أن جعله أتابك و لديه و لما توفي الإخشيد، تولى مملكة مصر و الشام ولده أبو القاسم أنوجور، ثم أبو الحسن علي، كان كافور يدير دولته أحسن قيام إلى أن توفي علي المذكور سنة 354هـ، ثم استقل بعدها كافور بالمملكة، و أشير عنه بإقامة الدعوة لابن أبي الحسن علي، و لم يزل مستقلا بالأمر حتى توفي في 20 جمادى الأولى سنة 356هـ، ودفن بالقرافة الصغرى، أنظر: ابن خلكان، المصدر نفسه، ص ص 99-105.

السابقة، فإنها هذه المرة لم تستطع عمل أي شيء من هذا القبيل نتيجة لضعفها من جهة، و لقيام دول معادية لها في الشام مثل الحمدانيين[1] في الشمال.

و القرامطة في الجنوب، الذين حالوا دون وصول جيوشها إلى مصر للدفاع عنها[2].

و نتيجة لهذا الضعف السياسي و الاقتصادي، أصبحت مصر عاجزة عن صد أي غزو يأتيها من الخارج، و لا شك أن الخليفة المعز الفاطمي كان على علم تام بأحوالها عن طريق دعاته و جواسيسه، ثم أخذ يعد العدة لفتح مصر، فجمع الأموال الوفيرة[36]، كما قضى سنتين في حفر الآبار و إقامة المنازل في الطريق إلى الإسكندرية لينزل فيها الجند أثناء زحفهم إليها، ثم عبأ جيوشه و معداته، فتجمع له 100ألف رجل، جعل قيادتهم في يد مولاه جوهر[4]. سار الجيش الفاطمي من القيروان في (14ربيع الأول358هـ/5فيفري 969م) تصحبه بعض القطع البحرية، فاستولى على الإسكندرية ، ثم واصل زحفه إلي الجيزة فوصلها في 17شعبان من نفس السنة، ثم عبر مخاضه في النيل وقضى على المقاومة الإخشيدية التي أعدت لقتاله على الضفة الشرقية للنيل، ودخل مدينة الفسطاط ظافرا[5].

ولقد كتب جوهر أمانا لأهل مصر أعلن فيه عن البرنامج الإصلاحي الذي سيسير عليه في سياسته المستقبلية مثل تأمين الناس على أنفسهم و أموالهم وتركهم أحرار على مذاهبهم الدينية المختلفة، ورفع الظلم و إلغاء الضرائب الجائرة وإصلاح الطرق...إلخ[6]. وهكذا بدأ حكم الفاطميين في مصر و زال عهد الدولة الإخشيدية،

و بعد أن تيسر الأمر لجوهر في ضم مصر إلى حوزه الفاطميين رأى أن يشرع في إنشاء مدينة جديدة تكون مقرا للخلافة الفاطمية ومركزا لنشر دعوتها الدينية، وعدل

---

[1] – الحمدانيون: من قبيلة تغلب العربية، كان أول ظهور لهم في قلعة ماردين في أواخر القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي عندما استولى عليها حمدان، وهم من الشيعة الإثناعشرية، وتعتبر سنة 324هـ/936م هي التاريخ الفعلي لقيام إمارة بني حمدان في الموصل بعد أن اعترف الخليفة العباسية الراضي بالله بولاية ناصر الدولة على الجزيرة و ديار مضر، انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص390-418.

[2] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص248، 249.

[3] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية و مصر وبلاد الشام، المرجع السابق، ص ص 183، 184.

[4] – أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص ص71، 72.

[5] – عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص ص97، 98.

[6] – المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص106.

عن اتخاذ كل من الفسطاط و العسكر عاصمة له. و وضع جوهر أساس المدينة التي عزم على إنشائها شمالي الفسطاط في ليلة17 شعبان358هـ ، كما وضع في الليلة التالية أساس القصر الذي بناه لمولاه المعز، وعرف هذا القصر باسم القصر الشرقي الكبير، ثم أقام حول تلك المدينة وقصر الخليفة سورا كبيرا.

أطلق جوهر على مدينته الجديدة اسم المنصورية تقربا إلى خليفته المعز بإحياء ذكرى والده المنصور، وظلت تعرف بذلك حتى قدم المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر فسماها القاهرة تفاؤلا بأنها ستقهر الدولة العباسية المنافسة لها، وقيل أيضا أنها سميت القاهرة لأنها تقهر من شذ منها وحاول الخروج على أميرها، ثم أحاط جوهر القاهرة بسور فيه سبعة أبواب وهي : باب النصر، باب الفتوح، باب زويلة، باب الفرج، باب السعادة ، باب البرقية ، باب القراطين[1]. وبعد أن فرغ من بناء المدينة الجديدة، و استتاب الأمر فيها للفاطميين، رأى جوهر أن يكتب إلى المعز يستدعيه ليتولى بنفسه زمام الحكم في البلاد فشد الرحيل إلى مصر واستخلف يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي على إفريقية و المغرب[2]، وخرج من المنصورية في شوال سنة361هـ متوجها إلى مصر مصطحبا معه الكثير من أتباعه وجمع كبير من رجالات دولته، من بينهم أولاده و إخوته و أعمامه، كما أخذ معه رفات آبائه (عبيد الله المهدي، والقائم، والمنصور) ودخل المعز القاهرة عاصمته الجديدة في رمضان 362هـ . ومنذ ذلك التاريخ تنتهي صفحة الوجود الفاطمي في بلاد المغرب وتبدأ بصفحة جديدة من تاريخ الدولة الفاطمية في مصر[3].

---

[1]– سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص257.

[2]– ابن الأثير، المصدر السابق،ج7، ص205.

[3]– محمد عبد الله عنان، الحاكم بأمر الله و أسرار الدعوة الفاطمية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1983، ص77.

الخاتمة

الخاتمة

من خلال عرضي لموضوع المذكرة وخلافا لما توحي به بعض الدراسات الحديثة التي حكمت على الفاطميين بالفشل و الإفلاس في بلاد المغرب، فإن الفاطميين قد نجحوا في آخر الأمر من تذليل جميع العقبات التي اعترضت سبيلهم و إخماد جميع الفتن والثورات التي كادت أن تقضي على دولتهم إلا أن فترة إقامتهم في بلاد المغرب كانت قصيرة جدا، مقارنة بفترة مكوثهم في مصر، وهذا ما من شأنه أن يطرح الإشكال التالي.ما هو سبب انتقال الفاطميين إلى المشرق بالرغم من نجاحهم في تأسيس دولة قوية في بلاد المغرب

إن الاستنتاج الوحيد الذي يجيب عن هذا الإشكال، هو: أن هدف الفاطميين من وراء ذلك هو هدف إستراتيجي بحيث أرادوا من تكوين دولتهم في بلاد المغرب هو إقامة نظام حكم قوي من شأنه أن تواجه به الدولة العباسية أثناء انتقالهم إليها في المشرق.

أي أن الخلفاء الفاطميين منذ عهد عبيد الله اعتبروا بلاد الغرب كالصدر الرحب الذي احتضن دولتهم الناشئة، ومن ثم أصبح بمثابة القاعدة الخليفة للدولة الفاطمية في هجماتها على أملاك الدولة العباسية في مصر.

على أن بعض الدارسين الناقمين للتاريخ الفاطمي يرجحون فكرة انتقال الفاطميين إلى المشرق الى سياستهم الجائرة اتجاه المغاربة و محاولتهم نشر مذهبهم الشيعي الإسماعيلي وفرضه بالقوة، مما أثار ذلك حفيظة المغاربة، فردوا على سياستهم تلك بالمتمردات والثورات والتي كانت أشدها و أحظرها على الإطلاق ثورة أبي يزيد الخارجي التي وجدت تأييدا كبيرا ليس فقط في الوسط المغربي فحسب وإنما تعدي ذلك إلى الأندلس و المشرق.

إنه لابد لدراسة التاريخ الفاطمي أن تتوفر عدة شروط أولها: المصداقية في تقصي الحقائق التاريخية، ثم الموضوعية في نقل هذه الحقائق و الأخبار بعيدا عن تحكيم الأهواء والميولات الذاتية و التعصب الديني و المذهبي، خاصة إذا علمنا بأن التاريخ الإسلامي العام يتمثل دائما في كونه تاريخ الإسلام السني بصورة شبه مطلقة، وهذه ظاهرة تعزي الباحثين بالنهل من مصادره دون العودة إلى المصادر المقابلة لها لقلتها.

الملاحق

ملحق رقم (01) بلاد المغرب في عهد الدولة الفاطمية

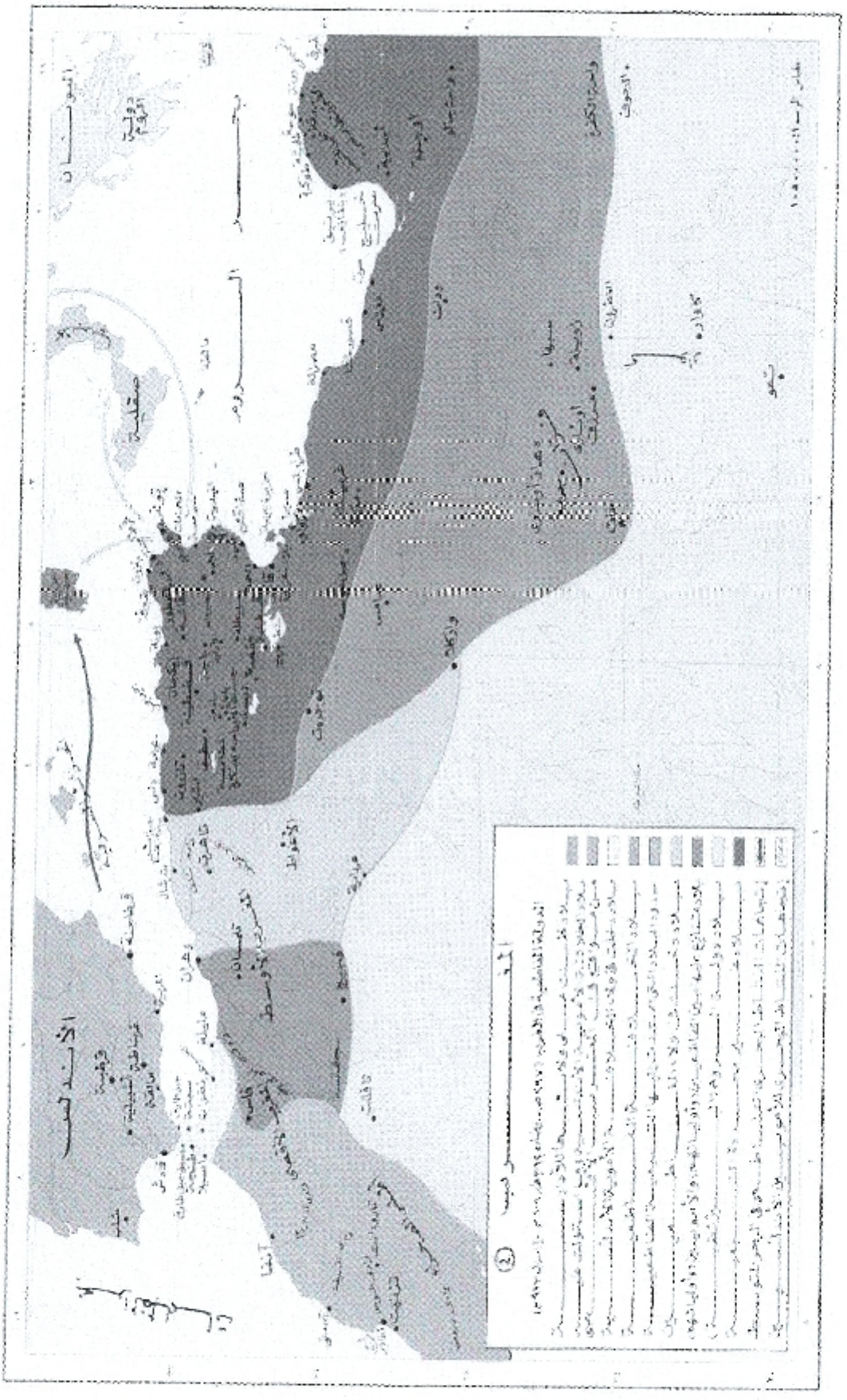

المرجع: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام ، دار الزهراء للإعلام والنشر، ص 162

ملحق رقم (02) البيت العلوي

حسن إبراهيم حسن، تاريخ الأسلام الديني والسياسي والثقافي الاجتماعي، المرجع السابق، ج2،ص 103

الملحق رقم (03) نسب الخلفاء الفاطميين حسب الكتاب الذي

أرسله عبيد الله المهدي الى اليمن

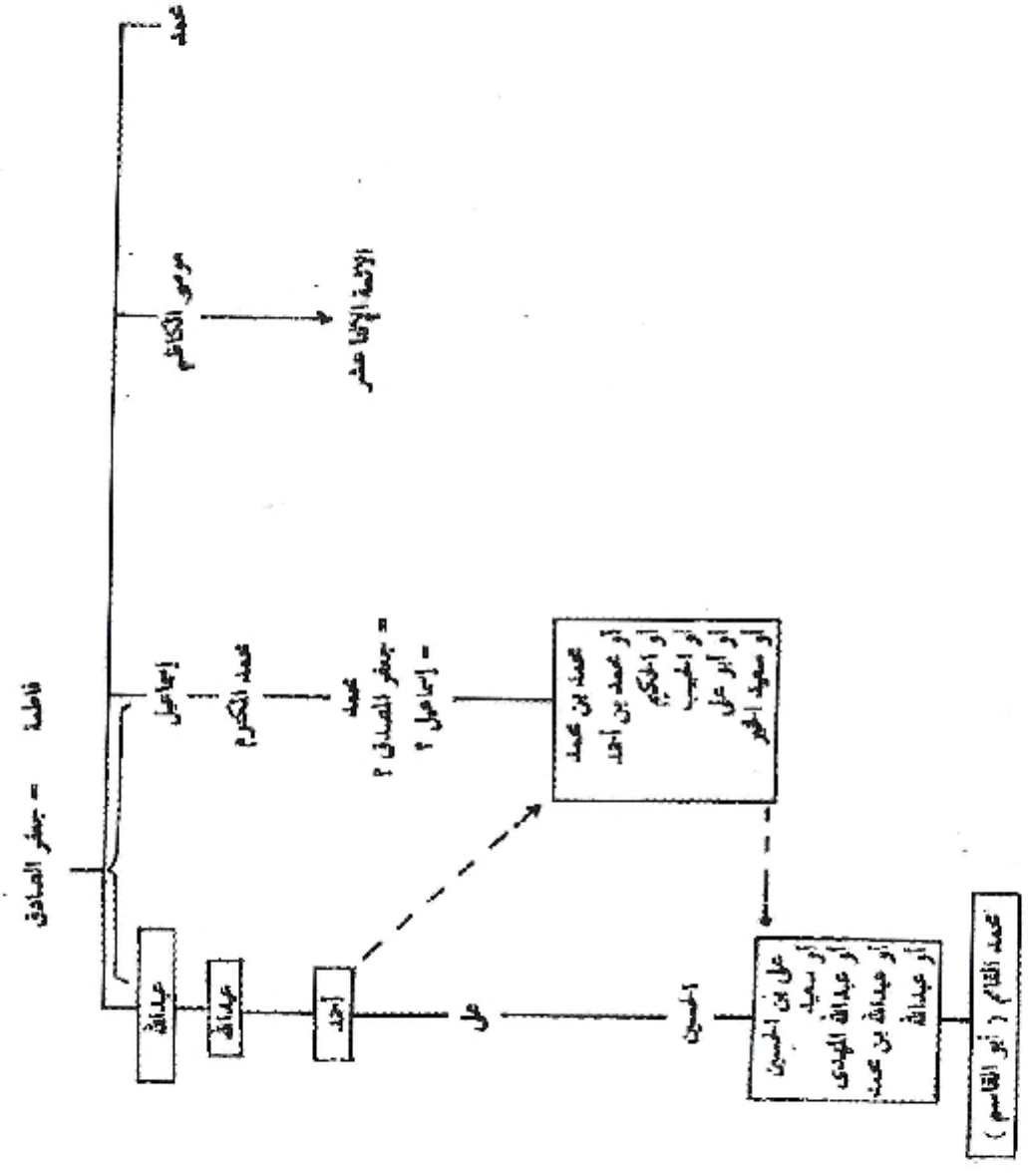

المرجع: المرجع: أيمن فؤاد سيد ، المرجع السابق، ص 42

الملحق رقم (04): أسماء الحكام الفطميين في بلاد المغرب و مدة حكم كل واحد منهم

- عبيد الله المهدي (297-322هـ/910-934م)
- أبو القاسم محمد القائم بأمر الله (323-334هـ/934-946م)
- أبو طاهر إسماعيل المنصور بنصر الله (334-341هـ/946-953م)
- أبو تميم معد المعز لدين الله (341-365هـ/953-975م)

المرجع: (محمد سهيل طقوش،تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر وبلاد الشام المرجع السابق، ص527

قائمة المصادر والمراجع

✓ **قائمة المصادر:**

_إبن الأبارعبد الله محمد بن عبد الله:

* الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1957

_ابن الأثير ،أبو الحسن علي:

* الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام الدوسري، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1.

_ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي:

* جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5،

_ ابن خلدون ،عبد الرحمن محمد:

* تاريخ ابن خلدون، المسمى بكتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، ج4، مؤسسة جمال للطباعة و النشر، بيروت، 1979

_ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر :

* وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، المجلة الأولى دار صابر، بيروت،

_الإدريسي: أبي عبد الله بن الشريف :

* وصف إفريقية الشمالية و الصحراوية، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق هنري بيراس، الجزائر

_ابن سعيد المغربي، علي بن موسى:

* المغرب في حلى المغرب، الفصل الرابع الخاص بمصر، تحقيق: زكي محمد حسن، القاهرة، 1953

_ابن عذارى المراكشي:

* البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، تحقيق و مراجعة كولان و ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة-بيروت-

_ابن النديم:

* الفهرست، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

_ البكري ،أبو عبد الله بن عبد العزيز:

* المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، تحقيق: دي سلان، باريس، 1909

_ الجوذري ،أبو علي المنصور العزيزي:

* سيرة أستاذ جوذر، تحقيق: محمد كامل حسين، ومحمد عبد الهادي سعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

_ الأنطاكي، يحي بن سعيد:

* تاريخ الأنطاكي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس بيرس، طرابلس، 1989.

_البغدادي ،عبد القاهر بن طاهر بن محمد :

* الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي لدين عبد الحميد،مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة.

_الحسن الوزان الفاسي المعروف د: ليون الإفريقي:

* وصف إفريقيا ج2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983

_الذهبي ،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان:

* سيرة أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة،

_الصفدي ،صلاح الدين خليل بن أيبك :

* الوافي بالوافيات، ج9، تحقيق: أحمد الأرنأوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1.

_الصنهاجي أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد:

* أخبار الملوك بني عبيد و سيرتهم ، تحقيق التهامي نفزة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، د س ن، 1962

_عماد الدين إدريس:

* عيون الأخبار و فنون الآثار السبع، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، لبنان.

_القاضي، النعمان محمد :

* المجالس و المسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1997،

* رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق: وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1970،

_ المسعودي ،أبو الحسن علي بن الحسن:

* مروج الذهب و معادن الجوهر، ج4، دار الأندلس، بيروت.

_المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي:

* اتعاظ الحنفاء بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996،

_ الناصري السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد:

* الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، ج2، دار الكتاب، دار البيضاء، المغرب، 1954

_النوبختي ، أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن :

* فرق الشيعة، تحقيق ، عبد المنعم الحفني دار الرشيد، ط1، 1922

_ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:

* نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تحقيق: حسين نصاب، عبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998

_الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت:

*معجم البلدان،ج4، دار صادر، بيروت، 1979

✓ **قائمة المراجع:**

_إبراهيم رزق الله أيوب:

*التاريخ الفاطمي السياسي، لبنان، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1997،

_إحسان إلهي ظهير:

*الإسماعيلية تاريخ و عقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان،

_أحمس حسن صبحي:

*الدعوة الفاطمية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2005

_أحمد مختار العبادي:

*في التاريخ العباسي و الفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت،

_إدوارد فون زامباور:

*معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دار الرائد العربي، بيروت، 1980،

_أنور محمود الزناتي:

*موسوعة تاريخ العالم (تاريخ العرب و المسلمين)، ج2

_أيمن فؤاد سيد:

*الدولة الفاطمية تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1992،

_حسن إبراهيم حسن:

*تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، و مصر، و سوريا، و بلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1964،

*تاريخ الإسلام الديني و السياسي و الثقافي و الاجتماعي، بيروت، دار الجبل، ط5، 2001،

_حسن إبراهيم حسن، طه احمد شرف:

*عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة .

_حسين مؤنس:

* معالم تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004.

* أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي ، ط1 ، 1987.

_حسين علي الخربوطلي:

* أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة،

_رابح بونار:

* المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1968،

_سهيل زكار:

* الجامع في أخبار القرامطة، ج1، دار حسان للطباعة و النشر، دمشق، 1987،

_سيدة إسماعيل كاشف:

* مصر في عصر الإخشيديين.

_سيدة إسماعيل كاشف وآخرون:

* موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993.

_السيد عبد العزيز سالم:

* المغرب العربي في العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

_صابر محمد ذياب:

* سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني هجري حتى نهاية العصر الفاطمي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1973.

_صالح عمار الحاج:

* المغرب العربي من خلال خلافة المعز لدين الله الفاطمي، ج1، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2004.

_عادلة علي الحمد:

* قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، دار المستقبل، الإسكندرية، 1980

_عارف تامر:

* تاريخ الإسماعيلية من المغرب إلى المشرق، ج2، رياض الرايس للكتب و النشر، قبرص، ط1، 1991،

* المعز لدين الله الفاطمي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982

_عبد الحكيم العفيفي:

* موسوعة 1000مدينة إسلامية، مكتبة الإسكندرية، ط1،

عبد العزيز الثعالبي:

* تاريخ شمال إفريقيا، تحقيق: أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987

_عبد الله كامل موسى عبده:

* الفاطميون آثارهم المعمارية في إفريقية و مصر و اليمن، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط1.

_عبد الله محمد جمال الدين:

* الدول الفاطمية، دار الثقافة و النشر و التوزيع، 1991

_عبد المنعم ماجد:

* الخلافة الفاطمية و سقوطها في مصر ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1994

_عمار عمورة ، نبيل داودة:

*الجزائر بوابة التاريخ ،ج1 ،دار المعرفة،الجزائر،2009

_فرحات الدشراوي:

* الخلافة الفاطمية بالمغرب، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994.

_لويس أرشيبالد:

* القوى البحرية و التجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى و محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية،

_لويس برنارد:

* أصول الإسماعيلية و الفاطمية و القرامطة، ترجمة خليل أحمد جلو، جاسم محمد الرجب، منشورات مكتبة المثنى، بغداد

_مرمول محمد الصالح:

* السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي،

_محمد جمال الدين سرور:

* تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1995،

* سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 1973

_محمد حجي:

* موسوعة أعلام المغرب، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1996،

_محمد سهيل طقوش:

* تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط4، 2000

* تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر و بلاد الشام، دار النفائس–بيروت، ط1، 2001

_محمد الطالبي:

* الدولة الأغلبية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985

_محمد عبد الله عنان:

* الحاكم بأمر الله و أسرار الدعوى الفاطمية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1983،

_محمد علي دبوز:

* تاريخ المغرب العربي الكبير، ج3، دار إحياء الكتب العلمية، ط1، 1963

_مصطفى غالب:

* تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس للنشر و التوزيع، ط3، 1979،

_ميكال بان دي غويه:

* القرامطة نشأتهم ،دولتهم وعلاقتهم بالفاطميين، ترجمة وتحقيق حسين زينة دار ابن خلدون، بيروت،ط2، 1980.

_نبيل فياض:

* الطائفة الإسماعيلية، جسر يربط الدين بالعقل، مجلة الموسم، العددان 43 و 44،1999.

الموسوعات:

*دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998،

*الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة، العالمية للشباب الإسلامي، موقع الكاشف، www.EL.KACHEF.NET

المراجع باللغة الانجليزية:

* IVANOV: the Rise Of the Fotimids PP